



تنشر البحوث بثلاث لغات:
العربية، والإنكليزية، والفرنسية

تصدر عن العتبة العباسية المقدسة
دار الرسائل ————— ول الأعظم

السنة السادسة.. المجلد السادس.. العدد الحادي عشر
للسنة ٢٠٢٦م ١٤٤٨هـ





نبينا : مجلة علمية نصف سنوية تعنى بالسيرة النبوية وأدبياتها : تنشر البحوث بثلاث لغات: العربية، والإنكليزية، والفرنسية / تصدر عن العتبة العباسية المقدسة دار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم - كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، دار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، 2021-

مجلد : 24 سم

نصف سنوية، السنة السادسة، المجلد السادس، العدد الثاني عشر (2026)

تتضمن إرذاعات بيلوجرافية.

النص باللغة العربية : ومستخلصات باللغة العربية والإنجليزية.

ISSN : 2789-4290

1. محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، نبي الاسلام، 53 قبل الهجرة- 11 هجري-دوريات، 2. السيرة

النبوية-دوريات، 3. العتبة العباسية المقدسة، دار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم (كربلاء، العراق)، جهة الاصدار. ب. العنوان.

LCC: BP75.2 .N335 2026 VOL. 6 NO. 11

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

الفهرسة أثناء النشر



ردمد: ٤٢٩٠-٢٧٨٩

ردمد الالكتروني: ٤٣٠٤ - ٢٧٨٩

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقية في بغداد (٥٧٦) لسنة (٢٠٢٢م)

الرمز البريدي للعتبة العباسية المقدسة: ٥٦٠٠١

صندوق البريد (ص.ب): ٢٣٢

كربلاء المقدسة / جمهورية العراق

Tel: +964 760 235 5555

http://daralrasul.com

Email: daralrasul@alameedcenter.iq



مركز الدراسات الإسلامية والبحوث



دار الرسول الأعظم



العتبة العباسية المقدسة

للطباعة والنشر والتوزيع



الانبياء (١٠٧)

رئيس التحرير
أ.د. عادل نذير بيرى
جامعة كربلاء

مدير التحرير
أ.د. شعلان عبد علي اليساري
جامعة بابل

التدقيق اللغوي
تدقيق النص العربي
أ.م.د. أحمد حسن منصور الغانمي
جامعة كربلاء

الترجمة الى اللغة الانكليزية:
مركز الكفيل للترجمة

الترجمة الى اللغة الفرنسية:
جعفر صادق عباس الكنبر
جامعة بغداد

هيئة التحرير

أ.د. أحلام عبدالله الحسن	البحرين
جامعة البحرين/ استشاري إدارة أعمال وإدارة موارد بشرية	
أ.د. جواد النصر الله	العراق
جامعة البصرة/كلية الاداب/قسم التاريخ/التاريخ الاسلامي	
أ.د. حسين داخل البهادلي	العراق
الجامعة العراقية/كلية الاداب/قسم التاريخ/التاريخ الاسلامي	
أ.د. حسين علي الشرهاني	العراق
جامعة ذي قار/كلية التربية للعلوم الانسانية/قسم التاريخ/التاريخ الاسلامي	
أ.د. خالد محرم	لبنان
جامعة بيروت الاسلامية / كلية الشريعة / قسم التربية الاسلامية	
أ.د. داود سلمان الزبيدي	العراق
جامعة بغداد/كلية ابن رشد للعلوم الانسانية/قسم التاريخ/التاريخ الاسلامي	
أ.د. دلال عباس	لبنان
الجامعة اللبنانية / الادب المقارن	
أ.د. سامي حمود الحاج جاسم	العراق
الجامعة المستنصرية/كلية التربية/قسم التاريخ/التاريخ الاسلامي	
أ.د. عبد الجبار ناجي الياسري	العراق
جامعة البصرة/ كلية الاداب/ قسم التاريخ/التاريخ الاسلامي	
أ.د. علي حسن الدلفي	العراق
جامعة واسط/كلية التربية/قسم اللغة العربية/اللغة	
أ.د. فلاح حسن الاسدي	العراق
الجامعة المستنصرية/ كلية الاداب/ قسم التاريخ/التاريخ الاسلامي	
أ.د. ليث قابل الوائلي	العراق
جامعة كربلاء/كلية التربية للعلوم الانسانية/قسم اللغة العربية/اللغة	
أ.د. مهران اسماعيلي	ايران
جامعة الاهليات والاديان / كلية العقيدة والاديان / قسم الحضارة الاسلامية	
أ.د. نور الدين ابو لحة	الجزائر
جامعة باتنة/ كلية العلوم الاسلامية/ قسم اصول الدين	
أ.د. هاشم داخل الدراجي	العراق
جامعة ميسان/كلية التربية/قسم علوم القرآن/التاريخ الاسلامي	

الإدارة المالية

الاستاذ عقيل عبدالحسين عيسى الياسري

الادارة الفنية

م.د.ياسين خضير عبيس

الإعداد والتحرير

حسن علي عبداللطيف المرسومي

الموقع الإلكتروني

أ.م.د. محمد محسن العبادي

م.د. محمد جاسم عبد ابراهيم

عقيل مسلم الخزاعي

النشر و التوزيع

محمد خليل الاعرجي

علي مهدي الصائغ

التصميم

حسين عقيل ابو غريب

الإخراج الطباعي

علي ماميثة



قصيدة نُورُخُ فِيهَا مَجَلَّةُ ((نَبِيْنَا))، وهي مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ نِصْفُ
سَنَوِيَّةٌ تُعْنَى بِالسَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَأَدْبِيَّاتِهَا تُصَدِّرُ عَنْ دَارِ الرَّسُولِ
الْأَعْظَمِ النَّاطِقَةِ إِلَى الْعَتَبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ

علي الصفار الكربلائي

وَهُوَ عَلَى أَفْقِ الذَّرَى زَاهِرٌ
أَيَّاتُ ذِكْرِ حَرْفِهَا هَادِرٌ
وَرَحْمَةٌ وَفَيْضُهَا زَاخِرٌ
وَمُرْسَلُ كِتَابِهَا أَسِرٌ
طَهَ وَفِي مَحَرَابِهِ سَاهِرٌ
وَهُوَ بِأَخْلَاقِ السَّمَا دَائِرٌ
وَجَوْنًا مِنْ نَشْرِهِ عَاطِرٌ
أَوْ جَاهِلٌ أَوْ مُلْحِدٌ كَافِرٌ
مُكَذِّبًا فَهُوَ إِذَنْ خَاسِرٌ
يُحْجِبُهُ لَيْلٌ وَلَا نَاكِرٌ
بِالْمُصْطَفَى وَهُوَ لَنَا جَابِرٌ
بِحَقِّ مَنْ بِهِ الْمَدَى بَاهِرٌ
بِالْحَجَّاجِ الْعَلِيَّيَا وَذَا وَافِرٌ
فِي ظِلِّ عَبَّاسٍ أَتَى النَّاصِرُ
مُتَّعٌ فِي إِصْدَارِهَا النَّاطِرُ
وَنَظْمُنَا لِسَعْيِهَا شَاكِرٌ
تَكْتَبُ وَالْقَوْلُ بِهَا سَائِرُ
مُصَدِّرٌ إِشْعَاعٌ وَذَا سَاحِرٌ
فَهُوَ لَهَا طُولُ الْمَدَى نَاشِرُ
((نَبِيْنَا عَنْوَانُهَا الظَّاهِرُ))

نَبِيْنَا بَنِيْنَهُ ظَاهِرٌ
وَوُضْعُهُ فِي اللَّوْحِ غَنَّتْ بِهِ
فَهُوَ سِرَاجُ نَبِيْرٍ دَائِمًا
وَأَسْوَةٌ مِمَّا مِثْلُهُ أَسْوَةٌ
يَدْعُو إِلَى اللَّهِ بِجَوْفِ الدُّجَى
وَهُوَ وَبَشِيرٌ وَنَذِيرٌ مَعَا
سَيَرْتَهُ أَرْبَعُ جَنَاحَاتِهِ
وَجَاءَ بَعْضُ مُغْرَضٍ شَانِيٍّ
وَقَالَ مَا قَالَ بِحَقِّ الْهُدَى
فَأَحْمَدُ الْمُخْتَارِ نُورٌ وَمَا
وَمَا عَلَيْنَا غَيْرَ أَنْ نَهْتَدِيَ
وَنَنْطِقَ الْحَقَّ كَمَا جَاءَ نَبَا
وَنَنْشُرَ السَّيْرَةَ مَقْرُونَةً
وَالْيَوْمَ فِي ظِلِّ الْوَفَا وَالْإِبَا
((نَبِيْنَا)) مَجَلَّةٌ هَاهُنَا
تَبَحُّثٌ فِي سَيْرَةِ خَيْرِ الْوَرَى
وَفِي لُغَاتٍ ثَلَاثٌ قَدْ بَدَتْ
مَجَلَّةٌ دَارُ الرَّسُولِ لَهَا
وَكَفَّ عَبَّاسٌ رَعَى رَبَّهَا
زِدْ تَسْلَعَةً مَجَلَّةٌ أَرْخَتْ:

((١١٣٧+ ١٨٣ + ١١٣)) + (٩) +

دليل الباحث

- تعنى المجلة بنشر البحوث الأصلية التي تتناول بالدراسة شخص النبي الأعظم ﷺ وسيرته المباركة.
- تخضع البحوث المرسلّة إلى التقويم لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد إلى أصحابها سواء قبلت أم رفضت.
- تخضع الأبحاث المستلمة لبرنامج الاستلال العالمي (Turnitin).
- تنسيق مصادر البحث يكون وفق تنسيق شيكاغو Chicago full note ويفضل استخدام برنامج Mendeley لكتابة وتنسيق المصادر.
- يُبلّغ الباحث بالقبول أو الرفض لبحثه من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
- يلتزم الباحث بمنهج البحث العلمي المتعارف، وأن لا يكون البحث منشوراً سابقاً ويقدم الباحث تعهداً خاصاً بذلك.
- تستقبل المجلة البحوث الكترونياً على الايميل :
daralrasul@alameedcenter.iq
- و ورقياً بنسخة واحدة مع قرص مدمج (cd) بخط simplified Arabic.
- ألا يتجاوز عدد كلمات البحث (١٠٠٠٠) كلمة.

- يقدم الباحث ملخصًا لبحثه مع الكلمات المفتاحية.
- تتضمن الصفحة الأولى من البحث اسم الباحث وعنوانه
- (جهة العمل) ورقم الهاتف والبريد الإلكتروني.
- إرفاق السيرة العلمية للباحث.
- تعبر الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبها.
- حقوق الطبع والنشر والتوزيع للمجلة او من تخوله.
- يراعى في أسبقية النشر تاريخ تقديم البحث مع مراعاة سياسة
- المجلة في تنوع البحوث المنشورة.



للتواصل:

Tel: +964 760 235 5555

Email: daralrasul@alameedcenter.iq

دليل المقومين

يراعي المقوم العلمي ما يأتي :

- ١- تطابق التخصص العلمي للبحث مع تخصص المقوم.
- ٢- أن يكون موضوعاً دقيقاً في قراءة البحث وتقويمه، وإبداء الملاحظ التي ترتقي بالبحث وتندارك ما فات صاحبه.
- ٣- تناغم البحث مع أهداف المجلة في إثارة موضوعات هادفة يحتاج أن يطلع الآخر عليها.
- ٤- توافر البحث على الضوابط العلمية والمنهجية التي تجعل من البحث أصيلاً في ميدانه.
- ٥- دقة عنوان البحث وتعبيره عن مضمونه.
- ٦- وجود ملخص وافٍ يعرض لأهمية البحث ومشكلته وأهم نتائجه.
- ٧- إجراء التقويم بسرية تامة وعدم اطلاع الباحث على التقويم أو التواصل معه.
- ٨- تدوين التعديلات الرئيسة التي يجب على الباحث الأخذ بها.
- ٩- سلامة البحث فكرياً وعدم مساسه بالثوابت العقدية.



مجلة علمية نصف سنوية محكمة تُعنى بالسيرة النبوية المباركة وأدبياتها
تنشر البحوث بثلاث لغات هي (العربية، والانكليزية، والفرنسية)
معتمدة للنشر العلمي والترقيات العلمية
لدى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقي
وفقا للأمر الوزاري ذي العدد (ب ت ٤ / ٤٠٨٢)
في ٢٢/٦/٢٠٢٢، وابتداءً من المجلد ١- العدد ٢-٢٠٢١

كلمة العدد



الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله، حبيبه وأمينه على وحيه ومبلغ رسالاته وعلى آله الكرام الاطهار .

لم يكن البحث في السيرة النبوية بحثاً تاريخياً محضاً يسعى إلى كشف تفاصيل الأحداث الماضية فحسب بل يمثل منهجاً للحياة ودليلاً للسمو الحضاري ، فهو لا يرفع الغبار عن ماضٍ بل يرسم حياة للحاضر وصورة مثلى للمستقبل؛ إذ إن إشارات السيرة المباركة لا تحدها حدود ولا يستوعبها زمان أو مكان إنها سيرة الخاتم ﷺ (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الانبياء: ١٠٧) ، تمتد لتشمل جوانب الحياة المعاصرة المختلفة، وتضيء جوانب متعددة لسد الفراغات والإجابة عن التساؤلات .

والدراسات العلمية التي يقدمها المتخصصون كفيلة بتسليط الضوء على هذه الجوانب القيمة من خلال استقراء أحداث السيرة وملابساتها وتحليلها تحليلًا قائمًا على أسس علمية راسخة ؛ لذا تطلق دار الرسول الأعظم ﷺ العدد الحادي عشر من مجلة (نبينا) الغراء ليشتمل على مجموعة أبحاث تعالج إشكاليات مختلفة طرحت في الساحة البحثية كزواجه من زينب بنت جحش

من منظور المستشرقين،

ورواية (ما أنا بقارئ) ، وتعرض أيضا

موضوعات أخرى كالمقاربة بين سيرة نبينا والنبى موسى ﷺ في

القرآن الكريم ، فضلا عن أبحاث تتعلق بكيفية الإفادة من سيرته في بناء

الإنسان والمجتمع أو دراسة منهج بعض العلماء في عرضهم للسيرة المباركة،

لتكون هذه الأبحاث لبنة من لبنات الكشف عن السيرة النبوية، وبيان الأسس

والضوابط لبناء الذات الإنسانية والراقي الاجتماعي .

القارئ الكريم بين يديك هذا العدد من مجلة نبينا ﷺ ، آملين أن يكون نافعا

مثمرا يضيء جانبا لم يسلط الضوء عليه بما يكفي أو يفتح آفاقا جديدة أو يعالج

واقعا بما يقدمه من روى تعزز ارتباطنا بالدين الإسلامي الحنيف وسيرة نبيه

الكريم ﷺ وقيمه ومبادئه . والحمد لله أولا وآخرا .



المحتويات

- ١٧ أسس الأمن المجتمعي وقيم التعايش في وثيقة المدينة
مقاربة في أصول بناء الإنسان وإرساء دعائم العمران
أ.د.علي بن موحى بن حدو سعاو / المغرب
-
- ٤١ البنية الظاهرية والمضمرة في سورة القصص
دراسة مقارنة بين هجرة النبي موسى وهجرة النبي محمد ﷺ
م.د.احمد صاحب غالي الجشعمي / العراق
-
- ٦٣ السيرة النبوية المباركة بين الثوابت القرآنية وإعمال العقل الإصلاحي
قراءة في المنهج المقاصدي عند محمد الطاهر ابن عاشور
د. محمد العزيز بن زاكور / تونس
-
- ٨٣ الدراسات الاستشرافية ومحاولات النيل من السلامة النفسية لشخصية
الرسول الاكرم ﷺ زواجه من زينب بنت جحش أنموذجاً
د. علي حسين صادق المؤمن / بريطانيا
-
- ١٠٧ نقد مرويات السيرة النبوية المباركة : روايتا: امتناع النبي ﷺ عن القراءة:
" ما أنا بقارئ" حين نزول الوحي وإنه من أمة لا تقرأ ولا تكتب!
منيف فياض عبد عيادة/ العراق

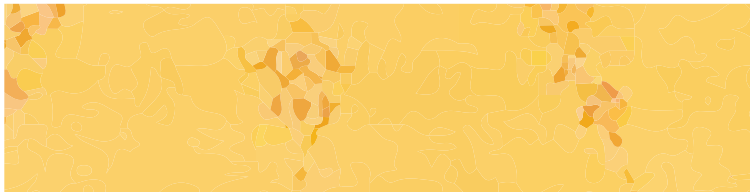
السيرة النبوية المباركة
بين الثوابت القرآنية
وإعمال العقل الإصلاحي
قراءة في المنهج المقاصدي
عند محمد الطاهر ابن عاشور



د. محمد العزيز بن زاكور

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية / جامعة منوبة / تونس

azizbenzakour951@gmail.com





نبيونا

Journal Homepage: <http://nabiyuna.com>
ISSN: 2789-4290 (Print) ISSN 2789-4304 (Online)



تاريخ التسلم: ٢٠٢٦/٠١/١٠

تاريخ القبول: ٢٠٢٦/٠٣/٢٨

تاريخ النشر: ٢٠٢٦/٠٦/٢٩

السنة (٦) - المجلد (٦)

العدد (١١)

محرم الحرام ١٤٤٨ هـ

حزيران ٢٠٢٦ م

DOI: 10.55568/n.v6i11.63-81



السيرة النبوية المباركة

بين الثوابت القرآنية وإعمال العقل الإصلاحي

قراءة في المنهج المقاصدي عند محمد الطاهر ابن عاشور

محمد العزيز بن زاكور^١

^١ جامعة منوبة / كلية العلوم الانسانية والاجتماعية / تونس؛

azizbenzakour951@gmail.com

دكتوراه في الحضارة العربية الإسلامية تصوّف إسلامي / دكتوراه

الملخص:

يُعدّ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (١٨٧٩-١٩٧٣) من أبرز علماء التجديد في الفكر الإسلامي الحديث، وقد تميّز بموقفه المتوازن من السنّة النبوية؛ فهو لم يكن من منكري الحديث أو المتأثرين بالاتجاه القرآني الخالص، بل أكّد على مكانة السنّة في ضوء القرآن ومقاصد الشريعة من غير جهود على ظاهر النصوص ولا تعطيل لوظيفتها الحضارية، ولم يُعرف عنه أيّ خطاب عدائي تجاه الفرق الإسلامية المخالفة، بل ساد منهجه نزوع نحو الانفتاح والنقاش الهادئ، ما يجعل فكره مؤهلاً للمساهمة في مشاريع التقريب والوحدة الإسلامية.

تسعى هذه الورقة إلى استجلاء معالم المنهج العقلي والمقاصدي في تناول السيرة النبوية

المباركة عند ابن عاشور، بالرجوع إلى مختلف كتاباته المتعدّدة ولعلّ أهمّها تفسيره للقرآن الكريم : " التحرير والتنوير " وكتبه المتعدّدة الأخرى ومن جملةها : مقاصد الشريعة الإسلامية، أصول النظام الاجتماعي، قصّة المولد، أليس الصبح بقريب. وتطرح هذه الورقة العلميّة الإشكالية الآتية :

كيف يوفق ابن عاشور بين ثوابت السيرة النبوية كما وردت في القرآن الكريم، وبين الدعوة إلى إعمال العقل والمقاصد في فهم هذه السيرة بعيداً عن الجمود أو التحريف؟
تعتمد الورقة المنهج التحليلي التأويلي، وتتناول الموضوع في ثلاثة مباحث :
المبحث الأول : السيرة والسنة بين الشمول والتحقيق في منظور محمّد الطاهر ابن عاشور.
المبحث الثاني : الثوابت القرآنية في السيرة حسب محمد الطاهر ابن عاشور.
المبحث الثالث : الفكر المقاصدي والقراءة العقلية للسيرة عند ابن عاشور.
وتخلص الدراسة إلى أنّ ابن عاشور أسّس رؤية عاقلة ووسطية لفهم السيرة النبوية، تجمع بين احترام النصوص وثوابت الوحي، وبين تفعيل العقل والاجتهاد في ضوء المقاصد الكبرى . وتوصي الورقة بضرورة إدماج هذا المنهج في مناهج تدريس السيرة، وتشجيع قراءات عابرة للمذاهب تُعيد للسيرة بعدها الإنساني والتربوي الجامع .

الكلمات المفتاحية: السيرة النبوية، التحقيق والتدقيق، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، إعمال العقل الإصلاحية، الثوابت القرآنية، المنهج المقاصدي.

Prophetic Chronicle Between Quranic Constants and Exercise of Reformist Reason Reading Teleological Methodology of Muhammad al-Tahir ibn Ashur Muhammad al-Aziz ibn Zakur ¹

¹ Faculty of Human and Social Sciences/ Tunis;

azizbenzakour951@gmail.com

PhD in Arab Islamic Civilisation / Islamic Sufism

Received:

10/01/2026

Accepted:

28/03/2026

Published:

29/06/2026

Keywords: Prophetic Chronicle , Verification and Scrutiny - Sheikh Muhammad al-Tahir ibn Ashur - Exercise of Reformist Reason - Quranic Constants - Teleological Method.

NABIYUNA Journal

Sixth year- Volume

Six- 11th Edition

Muharram 1448 AH.

June 2026 AD.

DOI:10.55568/n.v6i11.63-81.e



Abstract

Sheikh Muhammad al-Tahir ibn Ashur (1879–1973) is considered among most prominent scholars of the renewal in the modern Islamic thought. He was distinguished by his balanced stance on Prophetic Sunnah; he was neither among deniers of Hadith nor those influenced by the pure Quranic trend, but rather affirmed the position of the traditions in the light of Quran and objectives of Islamic law without rigid adherence to literal texts or suspension of its civilisational function. Furthermore, no hostile discourse towards opposing Islamic sects was known for him; instead, his method was dominated with an inclination towards openness and calm discussion, which makes his thought qualified to contribute to projects of convergence and Islamic unity.

The current paper clarifies the features of the rational and teleological method in addressing Prophetic Chronicle according to Ibn Ashur, through referring to his various multiple writings, perhaps most important of which is his exegesis of Holy Quran: "Liberation and Enlightenment" and his other various books : Objectives of Islamic law, Fundamentals of Social System, Story of Birth, and so forth.

This scientific paper stirs the following problematic question:

How does Ibn Ashur reconcile between constants of Prophetic Chronicle as stated in Glorious Quran, and call to exercise reason and objectives in understanding this Chronicle away from rigidity or distortion?

Paper adopts an analytical hermeneutical method and addresses topic through three sections:

First Section: Chronicle and Sunnah between Comprehensiveness and Verification in Perspective of Muhammad al-Tahir ibn Ashur.

Second Section: Quranic Constants in Chronicle According to Muhammad al-Tahir ibn Ashur.

Third Section: Teleological Thought and Rational Reading of Chronicle According to Ibn Ashur.

The study concludes that Ibn Ashur established a rational and moderate vision for understanding Prophetic Chronicle, combining respect for texts and constants of revelation, with activation of reason and independent reasoning in the light of major objectives. Paper recommends necessity of integrating this method into curricula of teaching chronicle, and encouraging trans-sectarian readings that restore to chronicle its comprehensive human and educational dimension.

المقدمة:

تمثّل السيرة النبوية المباركة*^١ المجال الفسيح الأرحب لتجليّ الوحي الإلهي في التاريخ باعتبارها مجالاً تطبيقياً للتجربة الإسلامية التاريخية يجتمع فيها النصّ القرآني المنزل والمؤصل بالتطبيق النبوي، فتكون بذلك ميداناً يجمع بين الثوابت التي لا تقبل التبديل والاجتهادات التي تستجيب لتحديات الواقع، ومن ثمّ فإنّ النّظر في السيرة ليس مجرد استدعاء لوقائع ماضية بل هو استبصار لطريق يهدي الأمة في حاضرها ومستقبلها.

غير أنّ الإشكالية الكبرى التي تواجه الباحث في السيرة تتمثّل في كيفية الموازنة بين الثوابت القرآنية القطعية التي جسّدت السيرة وبين إعمال العقلي الإصلاحي الذي يتطلبه تجديد فهم السيرة في ضوء المستجدات؟ ويزداد هذا الإشكال تعقيداً حين نضع في الحسبان ضرورة تحقيق الرّواية وتمحيص الأخبار لتمييز الصحيح من الضعيف والزائف قبل اعتمادها في بناء التصور المقاصدي، فهل يمكن لهذا التوازن أن يُبنى على منهج علمي يحقّق الوفاء للمقاصد الشرعيّة ويمنع الانفلات من الضوابط أو الوقوع في الجمود.

ومن هنا تبرز أهميّة مشروع الإمام محمد الطاهر بن عاشور**^٢ التونسي مولداً ومنشأً، الزيتوني علماً ونسبة وهو الذي جمع في كتاباته بين عمق الفقيه الأصولي وسعة المفسّر المتبحّر، وبُعد نظر

١ السّلميّ، محمد بن صامل مسائل في منهج دراسة السيرة النبويّة، ط١ (الرياض).

٢ شتّام محمود والساحلي محمد العزيز، شيوخ الزيتونة في القرن الرابع عشر الهجري تونس ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م (المطبعة العصرية)، ص ٩٨-١٠٦. * السيرة النبوية المباركة: هي دراسة حياة النبي محمد ﷺ والاطلاع على أخباره ومعرفة صفاته الخلقية والخلقية ودلائل نبوته وكل ما يتعلّق بحياته ﷺ من قبل الولادة إلى الوفاة، وتمثّل المصادر الأساسية للسيرة النبويّة في: القرآن الكريم الذي يعرض المراحل الأساسية في حياة النبي ﷺ وكتب الحديث والسنة النبوية التي ألّفها أئمّة الحديث وكتب السيرة والشائيل والخصائص ودلائل النبوة والمغازي ومن أهمّها "الابتداء والمبعث والمغازي" المعروف بـ "سيرة ابن إسحاق" ومختصرها المعروف بـ "سيرة ابن هشام" وشرحها المسّمّى بـ "الروض الأنف" لأبي القاسم السهيلي وكتاب "الشفّا بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض و"دلائل النبوة" للبيهقي وغيره... حول السيرة النبويّة ومنهج دراستها، محمد بن صامل السّلميّ مسائل في منهج دراسة السيرة النبويّة، ط١ (الرياض).

** ابن عاشور محمد الطاهر (١٤٥٥ هـ / ١٨٧٩ م - ١٥٣٧ هـ / ١٩٧٣ م) من أعلام الإصلاح الديني والفقه وسائر العلوم الشرعية في تونس والعالم الإسلامي درس بجامعة الزيتونة ودرّس فيه وتولّى خطّة شيخ الجامع الأعظم (الزيتونة) وأسهم في تطوير التعليم الزيتوني وإصلاح مناهجه بما يزاوج بين الأصالة والتجديد، جمع بين التكوين العميق في العلوم الشرعية واللّغوية وبين الإطلاع الواسع على الفكر الغربي الحديث ممّا أتاح له صياغة قراءة مقاصدية متجدّدة للشيعة الإسلامية، يعدّ تفسيره "التحرير والتنوير" من أبرز التفاسير الحديثة للقرآن كما مثّل كتابه "مقاصد الشيعة الإسلامية" نقلة نوعية في علم المقاصد.

الإصلاحية المتبصرة وقد أتاح لنا من خلال مؤلفاته الكبرى (ومنها تفسير التحرير والتنوير^٣ وقصة المولد^٤ ومقاصد الشريعة الإسلامية^٥ وأليس الصبح بقريب^٦ وأصول النظام الاجتماعي^٧ وغيرها من المصنّفات) نموذجاً متكاملًا في قراءة السيرة من منظور يجمع النصّ بالعقل فلا يكتفي بظاهر النصوص (كما يفعل الاتجاه الحرفي) بل يعمل العقل لفهم مقاصدها وعللها، ويجمع بين الجزئي والكلّي أي أنّه لا يقف عند الأحكام الجزئية المتفرقة وإنما يربطها بالكلّيات المقاصدية، فكان بحق يؤصل النصّ ويحققه ويفعل العقل ويرجّحه في منهج أصولي مقاصدي عجيب، جعلت من الشيخ الإمام شخصية إصلاحية محورية في الفكر المقاصدي الحديث.

ينطلق هذا البحث من فرضية أساسية مفادها أنّ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور قد أصل منهجاً مقاصدياً يسمح بإعمال العقل الإصلاحي في قراءة السيرة النبوية المباركة مع الحفاظ على الثوابت القرآنية، وتفيد هذه الفرضية أنّ المقاصد عنده تعمل ضابطاً ومعيّاراً للفصل بين ماهو ثابت وماهو ظرفي أو قابل للاجتهاد

أمّا في ما يتعلّق بالمنهج المعتمد في هذا البحث فقد اعتمدت منهجاً تحليلياً استقرائياً يقوم على استقراء نصوص ابن عاشور من كتبه المركزية مع تحليل دلالاتها في ما يتّصل بالسيرة مع محاولة ربطها بأصول المنهج المقاصدي في موازنة بين النصّ الثابت والعقل المجتهد وانقسم هذا البحث على مقدّمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

تعلّق المبحث الأوّل بالسيرة والسنة بين الشمول والتحقيق في منظور ابن عاشور، بينما تعلّق المبحث الثاني بالثوابت القرآنية في السيرة كما صاغها الشيخ ابن عاشور، في حين تعلّق المبحث الثالث بالمنهج العقلي المقاصدي في قراءة السيرة عنده فما موقف الشيخ من السيرة النبوية على وجه العموم؟

٣ ابن عاشور، محمد الطاهر التحرير والتنوير (دار سحنون للنشر).

٤ قصة المولد، طبعة الدار التونسية للنشر لهذا الكتاب، د.ت.

٥ ابن عاشور محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، ط٣ (الشركة التونسية للتوزيع).

٦ ابن عاشور محمد الطاهر، أليس الصبح بقريب.

٧ ابن عاشور محمد الطاهر، أصول النظام الاجتماعي.

المبحث الأول

السيرة المباركة والسنة بين الشمول والتحقيق في منظور محمد الطاهر ابن عاشور

١ - الشمول في السيرة النبوية والسنة الشريفة :

تتميز السيرة النبوية المباركة والسنة الشريفة^٨ بخاصية الشمول ، فهي لا تقف عند حدود ضيقة من القول أو الفعل بل تمتد لتشمل حياة الرسول محمد في عباداته ومعاملاته في بيته ومع زوجاته، في سلمه وحربه ، في أخلاقه وتشريعاته ، بحيث تصبح نموذجاً حياً تترجم الوحي إلى واقع معيش ، فالسنة تمثل ذلك الجانب التشريعي المعبر عن إرادة الشريعة في تفصيل الأحكام وتوضيح المجمل القرآني ، بينما تستوعب السيرة ذلك كله وتضيف له ما تقوم برصده من وقائع تاريخية وتجليات إنسانية وسياقات اجتماعية، ومن هنا كان الشمول خاصية تمنح السيرة والسنة قدرة فائقة على بناء شخصية المسلم تربية وتشريعاً معاً وتجعلها يشكّلان مصدراً مرجعياً متكاملين لا يقتصر على التعيد التشريعي القانوني بل يتعداه إلى التهذيب الروحي والإصلاح الاجتماعي، وهذا الشمول هو الذي جعل المفسرين والأصوليين يرون في السيرة والسنة منظومة متكاملة تتكافأ فيها الجزئيات والوقائع مع المقاصد، ومن هؤلاء الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور الذي كان يعتبر حياة النبي ﷺ وقراراته وسلوكه مصدراً عملياً للأمة وليس مجرد سرد تاريخي ولكنه قدوة أخلاقية وتشريعية، استجابة لقول الله في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١) يبدأ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية ببيان معنى الأسوة ذاكراً أنها بكسر الهمزة وضمها اسم لما يؤتسى به أي يقتدى به ويعمل مثل عمله، وحق الأسوة أن يكون المؤتسى به هو القدوة ، كما بين أن الائتساء والافتداء بالرسول إنما يكون اقتداء به في أقواله بامثال أوامره واجتناب نواهيه علاوة على الائتساء بأفعاله من الصبر والشجاعة والثبات^٩ وبذلك نتبين من آراء

٨ الجرجاني أبو الحسن، التعريفات (مطبعة دار الكتب العلمية)، ص ١٢٥ .

٩ ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج ٢١ (دار سحنون للنشر والتوزيع) ص ٣٠٢-٣٠٣ .
* السنة : لغة العادة وشريعة ما صدر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من قول أو فعل أو لا تقرير.

الشيخ ابن عاشور هذه الشمولية في السيرة النبوية التي تتجاوز أقوال الرسول الأكرم ﷺ وأفعاله وإقراراته إلى التحلي بجميل صفاته ومكارم أخلاقه، ويختم الشيخ ابن عاشور تفسير هذه الآية من سورة الأحزاب بقوله " وفي الآية دلالة على فضل الاقتداء بالنبي ﷺ وأنه الأسوة الحسنة لا محالة "١٠ وحرّي بنا أن نشيد بموقفه من السيرة النبوية على وجه العموم والسنة المحمدية على وجه الخصوص، فقد أكد الشيخ ابن عاشور أهميّة ما يصدر عن هذا النبي من قول وفعل ودوره المركزي في فهم الدين وتطبيق مقاصد الشريعة يقول ابن عاشور في تفسير الآية السابعة من سورة الحشر، وتحديدًا في قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: ٧) والإيتاء مستعار لتبليغ الأمر إليهم، جعل تشريعه وتبليغه كإيتاء شيء بأيديهم،... وهذه الآية جامعة للأمر باتّباع ما يصدر عن النبي ﷺ من قول وفعل فيندرج فيها جميع أدلّة السنة "١١ وقد اختلف الشيخ ابن عاشور عن ذلك التيار القرآني الحديث الذي قلّص دور السيرة ورفض السنة وألغاهَا باعتبارها مصدرا من مصادر التشريع * فابن عاشور يعتبر السيرة امتدادا حيّا للقرآن وتطبيقا عمليًا لمقاصده كما يعتبر السنة ثاني مصادر التشريع بعد النص القرآني. لكنّ السؤال المطروح: كيف تعامل ابن عاشور مع السيرة النبوية والسنة المحمدية تثبّتا وتحقيقا؟ سيّما وأنّ السيرة النبوية بما في ذلك السنة الشريفة كانت عبر التاريخ عرضة للتصحيّف والتحريف والوضع، سواء بدافع العصبيّة المذهبية أو المقاصد السياسيّة أو الأغراض الوعظية، وقد أفرز ذلك تراثا مختلطا بين الصحيح والموضوع والصادق والكاذب ممّا استدعى جهود العلماء في التمهّيص والنقد والجرح والتعديل.

١٠ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص ٣٠٣.

١١ ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج ٢٨ (دار سحنون للنشر والتوزيع) ص ٨٦-٨٧.

* ظهر الاتجاه المعروف اليوم باسم القرآنيين في القرن التاسع عشر الميلادي في الهند، ويعدّ أحمد خان (ت ١٨٩٨) من أبرز المؤثرين الأوائل إذ دعا إلى قراءة القرآن مباشرة وفق العقل والعلم الحديث وانتقد اعتماد المسلمين على الروايات الحديثية، وتبلور هذا التيار أكثر مع جماعة "أهل القرآن" التي أسسها عبد الله جكرالوي توفي (١٩١٤ م) حوالي (١٨٨٠ م) إذ صرّح أن القرآن الكريم وحده مصدر تشريع، ومن أبرز الشخصيات العالمية أيضا في هذا التيار القرآني: غلام أحمد برويز (ت ١٩٨٥ م) وهو مفكر باكستاني بارز كان من أبرز المنظرين لرفض مصدرية السيرة في التشريع. وفي مصر في القرن العشرين برز أحمد صبحي منصور المولود سنة ١٩٤٩ م، وهو أستاذ بجامعة الأزهر سابقا أسس لاحقا تيار القرآنيين في مصر ودعا إلى الاكتفاء بالقرآن الكريم، وأمّا في تونس فقد تبنّى الجامعي المفكر والمؤرخ محمد الطالب (ت ٢٠١٧ م) هذا التيار القرآني وتصدّر للدفاع عنه.

٢- الشيخ ابن عاشور مثبّتا ومحققا:

يرى ابن عاشور أنّ أيّ دراسة منهجية للسيرة يجب أن تبدأ بالثبّت في الأخبار وتحقيقها وتدقيقها قبل الانطلاق في استخراج المقاصد منها، فالتحقيق السنّدي والمتنّي هو شرط لا غنى عنه لمنع الانحراف أو الالتباس ولحماية المعاني المقاصدية العظمى من أيّ تحريف أو سوء فهم، ولا يغفل في هذا المقام أنّ الشيخ ابن عاشور قد كان عالما متضلّعا في علوم السنّة النبويّة رواية ودراية، وقد توفّرت له مؤهلات علمية عالية في علم الرواية جعلته قادرا على التمييز بين مختلف الروايات والاستدراك على كبار المحدثين في بعض المسائل، ولا عجب في ذلك فهو تلميذ وفيّ مخلص لمنهج الإمام مالك ابن أنس (ت ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م) في التعامل مع السنّة فقد كان مالك شديد الحزم والصرامة في التعامل مع السنّة النبويّة، فلا يقبل أيّ حديث إلّا بعد الثبّت من رجاله وسنده وكان يأخذ بالسنّة المتواترة على الآحاد، لكنّه يقدّم عمل أهل المدينة الذي هو في حكم السنّة العمليّة المتواترة على الآحاد، وهو في الآحاد محتاط من حيث اختيار الرّواة الذين يروى عنهم^{١٢} وقد قام الشيخ ابن عاشور اقتفاء لهذا الأثر الطيّب بتأليف كتاب سمّاه: «كشف المغطّى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ»^{١٣} وهو الذي كان يدرّس موطأ الإمام مالك في جامع الزيتونة المعمور، وقد قدّم لهذا الكتاب الذي حقّق فيه المباحث وكشف المشاكل وأثبت المسائل^{١٤} بمقدّمة أشار فيها إلى دواعي تأليف مالك كتاب الموطأ ومنهجه في تحمّل الحديث وقبول الرواية والشروح التي وضعت لهذا الكتاب.

وكانت للشيخ ابن عاشور العديد من التعليقات والتحقيقات على بعض ما ورد في صحيح البخاري سمّاه: «النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصّحيح»^{١٥} فقد مكّنه زاده العلميّ المعرفيّ الوافر بعلم الحديث وسعة اطلاعه على السنّة النبوية، وتضلّعه العجيب في علوم اللغة

١٢ حمادو نذير، منهج الإمام مالك في التعامل مع السنّة النبويّة دراسة أصوليّة حديثية (مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية) ص ١٥.

١٣ ابن عاشور محمد الطاهر، كشف المغطّى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ (الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع).

١٤ ابن عاشور محمد الطاهر، كشف المغطّى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، ص ٥.

١٥ ابن عاشور محمد الطاهر، النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصّحيح، ط ١ (دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة دار سحنون للنشر والتوزيع).

العربية وبلاغتها من قراءة مدققة حصيفة لما جاء في جامع الإمام البخاري وكان كثيرا ما يخالف برؤيته المتبصرة بسنن التاريخ وأحوال الاجتماع البشري فهو العديد من شراح الأحاديث النبوية بل إنه يثبت في بعض الأحيان خطأهم في الفهم فيعدل ويصوب ويقيم ويقوم*^{١٦}.

وفي ما يتعلق بالتعامل مع السنة النبوية، يرى ابن عاشور أنه لا ينبغي التسامح في إيراد الأحاديث الضعيفة ولو كان ذلك في فضائل الأعمال كما أنه لا يجوز ذكر الأحاديث مجردة من الرواة باستثناء اسم الصحابي، يقول الشيخ ابن عاشور: "اعتلّ الوضّاعون بعد ما رأوا من صرامة أهل النقد بعلة جديدة وهي التساهل في أحاديث فضائل الأعمال ومنشأ ذلك شيوع التصوّف ظناً منهم أن الكذب في التّغريب مصلحة حتّى إنّ أحدهم ليم على صنيعة وذكّر بحديث: "من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، فقال إنّما كذبت له لا عليه"^{١٧} ويستغرب ابن عاشور من موقف الإمام النووي* الذي يحكي اتفاق الحفاظ على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، ويعتبر ابن عاشور أنه من الواجب سدّ هذه الذريعة.^{١٨} ويمكن أن نخلص إلى أنّ موقفه من السنة خصوصاً ومن السيرة عموماً هو موقف المثبّت المتحرّي ففي كتابه "قصة المولد" الذي يعد كتاب سيرة نبوية مختصرة اقتصر ابن عاشور على الصحيح من الأخبار وعدل كل ما هو ضعيف وخيالي من وضع الوعّاظ والقصاصين، وأنصار المذاهب والنحل^{١٩} وهو بذلك سائر على منهاج الإمام مالك بن أنس في شدة حذره في نقل الحديث، وقد روي عنه أنه قال: "لقد أدركت أناسا يستسقى بهم الغمام ما أخذت عن واحد منهم"^{٢٠}.

١٦ ابن مبارك نعان جعيم، فقه السنة النبوية عند محمد طاهر بن عاشور دراسة ضمن كتاب محمد طاهر في عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر رؤية معرفية ومنهجية (نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي الولايات المتحدة الأمريكية) ص ٥٢٨-٥٣٢.

١٧ ابن عاشور، أليس الصبح بقريب، ص ١٧٣.

١٨ ابن عاشور، أليس الصبح بقريب، ص ١٧٣.

١٩ ابن عاشور، أليس الصبح بقريب، ص ١٧٠.

٢٠ ابن عاشور، أليس الصبح بقريب، ص ١٧١.

*للاطلاع على نماذج من تعليقات محمد طاهر بن عاشور وتصويباته في هذا الكتاب.

**النووي يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م) محدث وفقه ولغوي وأحد أبرز فقهاء الشافعية اشتهر بكتبه العديدة في الفقه والحديث واللغة والتراجم ومنها: الأذكار - الأربعين النووية - رياض الصالحين - منهاج الطالبين...

وإذا كان الشَّيْخ مُحَمَّد الطاهر بن عاشور قد تميَّز بحزم علميٍّ صارم في تمحيص أخبار السيرة النبويَّة مستندا إلى معايير الرواية والدراية رافضا الانسياق وراء الأخبار الواهية والمرويَّات غير الموثوقة ، فإنَّ ذلك المنهج لم يكن غاية في ذاته بقدر ما كان مدخلا ضروريًّا لاستجلاء المقاصد الكبرى التي رسمها القرآن الكريم للسيرة ، فإنَّ ابن عاشور لم يتوقَّف عند حدود النِّقد التاريخي للنصوص بل ارتقى إلى مستوى البحث في الثوابت القرآنية التي تشكِّل البنية الصَّلبة للسيرة النبوية لتغدو هذه الثوابت معيارا لفهم حركة الرسول ﷺ في التاريخ وفي هذا المقام نتساءل عن قراءة ابن عاشور للسيرة من خلال استنطاق القرآن الكريم باعتباره المرجع الأوثق والأرسخ في تدعيم تلکم الثوابت وتأصيلها .

المبحث الثاني

الثواب القرآنية في السيرة المباركة حسب محمد الطاهر ابن عاشور

الثواب القرآنية والسيرة :

تطلق عبارة الثواب القرآنية على جملة المبادئ والقيم والأحكام التي وردت في القرآن الكريم بصيغة قطعية الدلالة والثبوت فصارت أصولاً لا تقبل النسخ ولا التبديل ولا الاجتهاد المفضي إلى نقضها، فهي تمثل الأساس الذي يبنى عليه التشريع الإسلامي وتقاس عليه المتغيرات، وتشمل هذه الثواب كليات العقيدة وأركان العبادات الكبرى ومبادئ الأخلاق العامة مثل العدل والرحمة والصدق والأمانة إضافة إلى القيم المؤسسة للعلاقات الاجتماعية والسياسية كالشورى وحفظ الكرامة الإنسانية .

وأما السيرة النبوية المباركة فهي الميدان التطبيقي الذي تجسّدت فيه هذه الثواب القرآنية واقعا معيشا في حياة الرسول ﷺ إذ إنّ شخصه الكريم كان الترجمان العملي للقرآن الكريم كما وصفته عائشة قائلة : “ كان خلقه القرآن ” ومن هذا المنطلق تصبح السيرة الشرح العملي لتلك الثواب، فهي تظهر كيفية ترجمة النص القرآني إلى سلوك فردي وممارسة جماعية وبناء حضاري ، فما أمر به القرآن كان الرسول محمد ﷺ أول الممثلين له وما نهى عنه كان أبعد الناس عن ارتكابه ، وبذلك كان سلوكه ﷺ منبعا للأمة في التربية والاقتداء، وهذا ما أكّده ابن عاشور في ربطه بين ثواب القرآن الكريم و سيرة خير خلق الله.

٢- السيرة النبوية مرآة الثواب القرآنية عند ابن عاشور :

إنّ السيرة العطرة لرسول الله ﷺ في نظر الشيخ ابن عاشور تمثل المرآة الصافية النقيّة التي تعكس ملامح الثواب القرآنية فلا تكاد تبصر في حياة الرسول ﷺ موقفاً إلاّ وجدت فيه انعكاساً لنور الوحي ، فهي المرآة التي تظهر الصورة على حقيقتها إذ تجسّد المبادئ القرآنية في هيئة بشريّة حيّة : رحمة في التعامل وعدلا في الحكم وصبرا في البلاء ، ومن خلال هذه المرآة يرى المؤمنون

كيف تتحوّل القيم الإلهية إلى واقع عمليّ يوجّه السلوك الفرديّ والجماعيّ ، وهكذا تصبح السيرة النبويّة المباركة الامتداد التطبيقي للقرآن بل هي التطابق التام معه يقول الشيخ ابن عاشور في كتابه أصول النظام الاجتماعي * مؤكّدا هذا الرأي : " إذا عرضت آية آية من آي القرآن الواردة في خُلق حسن وعمل صالح وتأملت من سيرة رسول الله ﷺ في الناحية الوارد فيها القرآن وجدت سيرة رسول الله ﷺ مطابقة لما تضمّنه القرآن ، فالقرآن إذن هو جامع مكارم الأخلاق والرسول هو مظهر تلك المكارم »^{٢١}

وفي تفسير ابن عاشور لقوله تعالى مخاطبا رسوله الأكرم ﷺ : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. (سورة نون: ٤) نتبيّن من كلامه أنّ هذه الآية تتجاوز الشاء القرآني على شخص النبيّ محمد ﷺ لتقرّ مبدأ ثابتا يجعل من أخلاقه معيارا ملزما للأمة ومرجعا في التشريع والسلوك ، معتبرا أنّ القرآن الكريم حين يشهد للنبيّ ﷺ بالعظمة الخلقية فهو يربط السيرة كلّها قولاً وفعلًا بأفق قرآنيّ قطعي لتكون حياة الرسول ﷺ التطبيق الأسمى لمقاصد الشريعة في تركية النفس ونشر مكارم الأخلاق يقول الشيخ ابن عاشور : " فجعل أصل شريعته إكمال ما يحتاجه البشر من مكارم الأخلاق في نفوسهم ولا شك أنّ الرسول ﷺ أكبر مظهر لما في شرعه... فكما جعل الله رسوله على خلق عظيم جعل شريعته حمل الناس على التخلّق بالخلق العظيم بمنتهى الاستطاعة^{٢٢}

ومن أظهر الآيات القرآنية التي أبرز فيها محمد الطاهر ابن عاشور ثوابت قرآنية في السيرة النبويّة قوله تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)

فقد استخلص ابن عاشور في التحرير والتنوير أنّ هذه الآية ترسي قاعدة خالدة في القيادة النبوية باعتبار أنّ العفو والرحمة من أسباب دخول الناس في دين الله ونجاح الدعوة ، وأنّ الشورى

٢١ ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي، ص ١٢٧.

٢٢ ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج ٢٩ (دار سحنون للنشر والتوزيع تونس) ص ٦٤.
* بعد كتاب أصول النظام الاجتماعي للشيخ ابن عاشور من المصنّفات الهامة التي وقع التركيز فيها على هذه الثوابت في مختلف أقسامه.

لا تجعل منه قائدا متجبرا يفرض سلطانه بالعنف والقهر فالرسول محمد ﷺ كان قدوة في الجمع بين الحزم واللين وبين التوجيه النبوي والالتزام بالمقاصد القرآنية، يقول ابن عاشور في تفسير هذه الآية: «فخلق الرسول مناسب لتحقيق مراد الله من إرساله... أرسل محمد مفطورا على الرحمة فكان رحمة من الله بالأمة في تنفيذ شريعته بدون تساهل وبرفق وإعانة على تحصيلها... وورد أن صفح النبي وعفوه ورحمته كان سببا في دخول كثير في الإسلام»^{٢٣}

وبخصوص مسألة الشورى التي أمر الله بها رسوله في هذه الآية بدا الشيخ ابن عاشور مشيدا بفضلهام ومعتبرا إياها من سلوك سليمي الفطرة، يقول ابن عاشور في تفسيره: «هذا والشورى مما جبل الله عليه الإنسان في فطرته السليمة، أي فطرة على محبة الصلاح وتطلب النجاح في المساعي ولذلك قرن الله تعالى خلق أصل البشر بالتشاور في شأنه إذ قال للملائكة (إني جاعل في الأرض خليفة) إذ قد غني الله عن إعانة المخلوقات في الرأي ولكنه عرض على الملائكة مراده ليكون التشاور سنة في البشر»^{٢٤}

ومن ثم يتأكد أن الثوابت القرآنية في السيرة ليست مجرد فضائل أخلاقية وإنما هي مبادئ تؤسس الحياة الجماعية وتعد مرجعية أساسية للتربية والسياسة والاجتماع، غير أن الوقوف عند هذا المستوى الوصفي لا يكفي لبلوغ عمق النظر عند هذا العلم الزيتوني إذ يظل السؤال قائما: كيف أمكن لابن عاشور أن يتجاوز مجرد إثبات هذا الارتباط ليعيد قراءة السيرة بمنهج عقلي مقاصدي فيستخرج منها دلالات إصلاحية متجددة تلائم عصره؟

٢٣ ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج ٤ (دار سحنون للنشر والتوزيع تونس) ص ١٤٥.

٢٤ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص ١٥٠.

المبحث الثالث

الفكر المقاصدي والقراءة العقلية للسيرة عند ابن عاشور

١ - الفكر المقاصدي وعلاقته بالعقل في الحضارة العربية الإسلامية :

ظهر علم المقاصد في الحضارة العربية الإسلامية خطوة منهجية لإدراك الغايات العليا للشيعة وتجاوز المقاربة التقليدية لأصول الفقه* ٢٥ التي كانت تركّز في جوهرها على التفصيلات الجزئية للأحكام دون النظر إلى الحكمة العليا من تشريعها، فعلم المقاصد يعتني بدراسة الحكم التي من أجلها شرعت الأحكام الشرعية، وهو علم مرتبط بأصول الفقه والفقه معاً، وأمّا الفكر المقاصدي فهو الفكر المتشعب بمعاني الشريعة وأسسها اطلاعاً وفهماً واستيعاباً وهو الذي يفهم نصوص الشريعة ويفقه أحكامها في ضوء ما تقرّر من مقاصدها العامّة والخاصّة، ويمكن تتبّع جذور هذا العلم إلى القرن الخامس الهجري إذ برزت الحاجة إلى تأسيس إطار نظري يوازن بين النص الشرعي والعقل البشري بما يمكن الفقهاء من إستنباط الأحكام وفق مقاصد الدين ومصالح العباد، وقد أسس الإمام أبو إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) هذا التوجه بشكل منهجي في كتابه "الموافقات في أصول الشريعة" معتبراً أنّ كلّ حكم شرعي لا بدّ أن يفهم في ضوء الغاية التي أنزل من أجلها وأنّ اجتهاد الفقيه يتطلّب الجمع بين العقل والنقل لتحديد المقاصد الكلية، وعدّ الشاطبي أنّ المقاصد الكلية هي القاعدة التي تقيّم بها التفصيلات الجزئية للأحكام بما يحقّق التوازن بين ثوابت الدين ومتغيّرات الحياة، ومن هذه النقطة يمكن القول إنّ الفكر المقاصدي يمثل جسراً بين النقل والعقل، بين الثابت الإلهي والمتغيّر الاجتماعي يقول الإمام الشاطبي في مقدّمة كتاب الموافقات : "لم أزل أقيّد من أوابده وأضمّ من شوارده... معتمداً على الاستقراءات الكلية غير مقتصر على الأفراد الجزئية ومبيّناً أصولها النقليّة بأطراف من القضايا العقلية حسب ما أعطته الاستطاعة والمنة في بيان مقاصد الكتاب والسنة" ٢٦ .

٢٥ الجرجاني، التعريفات، ص ٣٢.

٢٦ الشاطبي أبو إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، ج ١ (طبعة دار المعرفة)، ص ٢٣.

*أصول الفقه هو العلم الذي يدرس القواعد والمنهجيّات اللازمة لاستخراج الأحكام الشرعية من أدلّتها التفصيلية بما في ذلك القرآن والسنة والإجماع والقياس، بحيث يمكن الفقيه من الوصول إلى الحكم الشرعي بدقّة وموضوعية.

وقد تطوّر هذا الفكر المقاصدي لاحقاً بعد الشاطبي، وبرز فيه أعلام في العصر الحديث ومنهم ابن عاشور، فكيف استثمر هذا الأخير هذا التأصيل المقاصدي المنهجي في قراءة السيرة النبوية في ضوء التحليل العقلي والاجتهاد المعاصر؟

٢ - منهج ابن عاشور العقلي المقاصدي في قراءة السيرة :

ألّف ابن عاشور مصنفًا شديد الاختصار في السيرة النبويّة المطهّرة ويمكن أن نعتمده مثلاً دقيقاً ونموذجاً شامداً لاستجلاء بعض ملامح هذا المنهج العقلي المقاصدي في قراءته سيرة النبيّ محمد ﷺ، سمّى ابن عاشور هذا المصنّف "قصة المولد" وقد وثّق فيه أغلب ما يجب أن يُذكر ويُعلم بخصوص سيرة هذا النبيّ الكريم ﷺ من نسب ومولد ونشأة وبعثة وهجرة وغزوات وزواج وشمائل أخلاقية وغيرها، وتوخّى في هذا الكتاب سبيل الإيجاز والدقّة كما أكّد في مقدّمة هذا الكتاب أنّه قد تجنّب الأخبار الواهية وتلافى ما هو غير ثابت من الأخبار واقتصر على ما صحّ من الآثار، يقول ابن عاشور في هذه المقدّمة :

آثرت فيها جمع لمع كافية للذين تعلّقت قلوبهم بمحبّته وأخبار غير واهية الأساس ... إذ كان الله قد أغنى هذه الأمّة عن التّبّت بما ليس بمحبّّة الثبوت ... فإنّ هذا الدين ثريّ بما أمده الله من صحيح كثير عن أن يلفّق له شاعب كلّ مثلهم أو كسير»^{٢٧}.

إنّ ما جاء في هذه المقدّمة العاشورية ليكشف عن تناغم واضح مع المنهج العقلي في قراءة السيرة، وإعلانه أنّ كتابه خال من الأخبار الواهية يترجم حرصه على التخلّص من الروايات الغريبة والقصص المفتعلة والأحاديث الموضوعية التي علقت بتراث السيرة النبويّة وهو بذلك يضع معياراً عقلياً نقدياً يقوم على التمييز بين المقبول والمردود، ثم إنّ تأكّيده اعتماد الثابت من الآثار والصحيح من الأخبار يشي بأنّه يربط دراسة السيرة النبوية بميزان التحقيق العلمي الذي يستند إلى الدراية الحديثة والتمحيص التاريخي ولا ينساق وراء التسليم العاطفي، وإنّ هذا التوجّه العقلي يجعله امتداداً للمدرسة الإصلاحية التي رأت أنّ إعادة قراءة السيرة تقتضي تنقية مادّتها وفق ضوابط العلم والعقل معا، حتى تظلّ مصدراً للتربية والفكر المقاصدي، وهكذا يبرز منهجه

جامعا بين احترام النصوص الموثوقة وبين تشغيل النظر العقلي لترشيد قراءة السيرة وتحريرها من الخرافة، وهو في كتابة السيرة يتبع منهجا خلدونيا عقليا علميا دقيقا *^{٢٨} فقد اقتصر في كتابه على الوقائع المعقولة التي يقبلها العقل ولا تتنافى مع معايير الكونية كما تجنب الإطناب عند حديثه عن المعجزات التي نجد بعض المؤرخين للسيرة والقصاص يبالغون فيها مما يجعل كتاباتهم مليئة بأخبار لا تاريخية في كثير من الأحيان، ومما تجب الإشارة إليه في كتاب الشيخ ابن عاشور في السيرة النبوية أن المنزع المقاصدي لم يكن غائبا فيه من خلال تناوله بعض الأحداث والوقائع وفق ما تتضمنه من غايات وبما يساعد على حفظ الكليات الخمس المتمثلة في حفظ الدين والنفس والمال والعرض والعقل، ولأجل ذلك نلاحظ أن ابن عاشور لم يتق من السيرة إلا ما من شأنه أن يصلح السلوك ويهذب النفس ويسوي الاعتقاد ويعود بالنفع على الفرد والمجموعة فكان تركيزه جليا على الشرائع المحمدية قصد التأسي بها في حين كان حديثه عن الغزوات شديد الاقتصاب والاختصار^{٢٩} يقول ابن عاشور في سيرته النبوية عن شمائل هذا الرسول : « وكان ... أصفاهم سريرة وأحسنهم عفوا وأكثرهم صبرا وأسخاهم وأسمحهم وأشجعهم شديد الحياء إلا في الحق كثير الإغضاء عن الفلتات حسن المعاشرة رحيم بالناس رفيقا بهم ، أصدقهم قولاً وأوفاهم عهداً»^{٣٠} إن عرض ابن عاشور لأخلاق الرسول الرفيعة لم يكن مجرد ثناء وسرد تاريخي بل كان إدراجا لها في صميم فكره المقاصدي حيث جعل من مكارم الأخلاق الدليل الأوضح على مقاصد الشريعة في تزكية النفوس وإصلاح العمران فالسيرة النبوية المباركة في نظره ليست حكاية فضائل بل هي برهان عملي على أن الأخلاق القرآنية هي الأساس الذي تقام عليه حياة الفرد والأمة ، كما أن الاقتداء بالنبي محمد ﷺ هو عين العمل بالمقاصد ذلك أنه ﷺ يجمع بين النص والواقع، بين الثابت القرآني والمصلحة الإنسانية.

٢٨ ابن عاشور، أليس الصبح بقريب، ص ٢٠١.

٢٩ ابن عاشور محمد الطاهر، السيرة النبوية قصة المولد، خلف الله نجم الدين (دار سحنون للنشر والتوزيع تونس)، ص ٢٣.

٣٠ السيرة النبوية قصة المولد، ص ٤٠-٤١.

* يبدو ابن عاشور معجبا بابن خلدون وبمنهجه العقلي وابتعاده عن مجرد رواية الأخبار واقتراجه الى الانصاف .

الخاتمة :

بعد هذه القراءة المتأنية في السيرة النبوية المباركة من خلال الثوابت القرآنية ومنهج ابن عاشور العقليّ المقاصديّ يمكننا الخروج بمجموعة من الاستنتاجات :

إنّ السيرة حسب هذا العلم الزيتونيّ لم تكن مجرد سجلّ تاريخي لحياة الرسول ﷺ وإنما هي الامتداد العمليّ لثوابت القرآن الكريم ومجال التجسيد الحيّ لمقاصد الشريعة فقد أبانت نصوص ابن عاشور في مصنفاته العديدة بأنّ السيرة تمثّل القدوة الملزمة للأمة وأنّ قراءتها في ضوء الثوابت القرآنية تردها إلى أصلها التشريعي والأخلاقي.

ومن خلال استقراء ما جاء في كتبه بخصوص السيرة النبوية نستخلص أنّ ابن عاشور قد جمع بين أمرين هامّين وخطيرين : تحقيق الرواية بإعمال النقد والتمحيص لتمييز الصحيح من الزائف علاوة على إعمال العقل المقاصديّ في فهم دلالات السيرة بحيث تتحوّل الوقائع الجزئية إلى إشارات كلّية تهدي الأمة إلى سبيل الإصلاح والتجديد، ويؤكد هذا المنهج أنّ الاقتداء بالنبيّ محمد ﷺ ليس تقليدا شكلياً بل هو التزام بمقاصد الوحي في الرحمة والعدل والتزكية والسخاء والشورى... وهي قيم تجسّدت في أخلاق النبيّ ﷺ وتجلّت في سيرته العطرة وللمسلمين في رسول الله ﷺ أسوة حسنة. ومما يوصى به في خاتمة هذا البحث :

- ضرورة إحياء منهج ابن عاشور في قراءة السيرة بالجمع بين التحقيق العلميّ والنظر المقاصدي، حتى لا تبقى السيرة أسيرة طرح لا تاريخي خرافيّ أحياناً أو تهجّجاً من لدن منتقديها من المغرضين أو المشكّكين .
- توجيه الدراسات الشرعية إلى استخراج المقاصد الكلّية من السيرة وإبراز قيمتها الإصلاحية التي تخاطب حاجات المجتمع المعاصرة.
- اعتماد السيرة النبوية في المناهج التربوية والتعليمية لا بوصفها أحداثاً تاريخية بل باعتبارها نموذجاً حيّاً لتفعيل الثوابت القرآنية.

وبذلك يتّضح أنّ مشروع ابن عاشور في قراءة السيرة النبوية المباركة يظلّ من أهمّ النماذج التي جمعت بين الوفاء للأصول والقدرة على التجديد، وأنّ استلهام هذا المشروع اليوم كفيل بإبراز السيرة النبوية منارة إصلاح تتجاوز الماضي إلى الحاضر والمستقبل.

المصادر

القرآن الكريم

أبو إسحاق، الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ج ١ (طبعة دار المعرفة)
الجرجاني، أبو الحسن، التعريفات (مطبعة دار الكتب العلميّة)
السلميّ، محمد بن صامل، مسائل في منهج دراسة السيرة النبويّة، ط ١ (الرياض)
بن عاشور، محمد الطاهر، 'أصول النظام الاجتماعي الاسلام'

-----، 'أليس الصبح بقریب'

العزیز، شام محمد و الساحلي محمد، شيوخ الزيتونة في القرن الرابع عشر الهجري تونس ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م (المطبعة العصرية)

جغيم، ابن مبارك نعمان، فقه السنّة النبوية عند محمد الطاهر بن عاشور دراسة ضمن كتاب محمد الطاهر في عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر رؤية معرفية ومنهجية (نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي الولايات المتحدة الأمريكية)
حمادو، نذير، منهج الإمام مالك في التعامل مع السنّة النبويّة دراسة أصوليّة حديثة (مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية)

ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير (دار سحنون للنشر)

-----، التحرير والتنوير، ج ٢١ (دار سحنون للنشر والتوزيع)

-----، التحرير والتنوير، ج ٢٨ (دار سحنون للنشر والتوزيع)

-----، التحرير والتنوير، ج ٢٩ (دار سحنون للنشر والتوزيع تونس)

-----، التحرير والتنوير، ج ٤ (دار سحنون للنشر والتوزيع تونس)

-----، النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، ط ١ (دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة دار سحنون للنشر والتوزيع)

-----، كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ (الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع)

ابن عاشور، محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، ط ٣ (الشركة التونسية للتوزيع)

ابن عاشور محمد الطاهر، السيرة النبويّة قصّة المولد، خلف الله نجم الدين، (دار سحنون للنشر والتوزيع تونس)

ابن عاشور محمد الطاهر، السيرة النبويّة قصّة المولد، خلف الله نجم الدين، (دار سحنون للنشر والتوزيع تونس)

ابن عاشور محمد الطاهر، السيرة النبويّة قصّة المولد، خلف الله نجم الدين، (دار سحنون للنشر والتوزيع تونس)

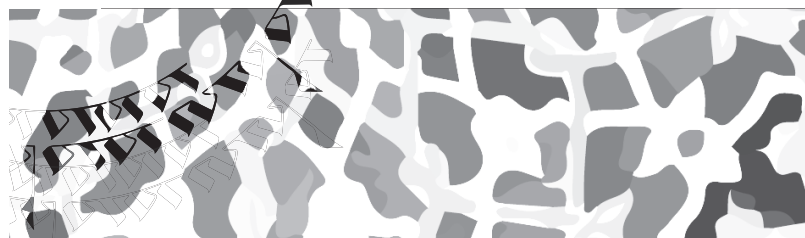


الدراسات الاستشرافية

ومحاولات النيل من السلامة

النفسية لشخصية الرسول الأكرم ﷺ

زواجه من زينب بنت جحش أنموذجاً



د. علي حسين صادق المؤمن

دكتوراه في القانون الإسلامي / الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية؛ بريطانيا

alialmomen644@hotmail.com





مجلة نبينا

Journal Homepage: <http://nabiyuna.com>
ISSN: 2789-4290 (Print) ISSN 2789-4304 (Online)



تاريخ التسلم: ٢٠٢٦/٢/٨

تاريخ القبول: ٢٠٢٦/٤/٢٠

تاريخ النشر: ٢٠٢٦/٠٦/٢٩

السنة (٦) - المجلد (٦)

العدد (١١)

محرم الحرام ١٤٤٨ هـ

حزيران ٢٠٢٦ م

DOI: 10.55568/n.v6i11.83-105



الدراسات الاستشراقية

ومحاولات النيل من السلامة النفسية لشخصية الرسول الاكرم ﷺ

زواجه من زينب بنت جحش أنموذجاً

علي حسين صادق المؤمن^١

^١ باحث من العراق ومقيم في العراق / الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية / لندن،

alialmomen644@hotmail.com

دكتوراه في القانون الإسلامي / دكتوراه

الملخص

يستعرض البحث تحليلاً للمنهج الاستشراقي تجاه حادثة زواج النبي محمد ﷺ من زينب بنت جحش، باعتبارها نموذجاً بارزاً للتعاطي مع الأبعاد النفسية والسلوكية في الشخصية النبوية. ينقسم الخطاب الاستشراقي إلى اتجاهين أساسيين: أولهما منحاز تشويهي يطعن في توازن دافع النبي ﷺ وأسباب تعدد زيجاته، مسقطاً النبوة نفسها عبر مزاعم متعلقة بالهوس الجنسي والطموحات السياسية أو مرض نفسي، وانتهازيته في تبرير أفعال شخصية بالوحي. أما الاتجاه الثاني فيتميز بالموضوعية والإنصاف، فيتناول الحادثة من منظور تشريعي واجتماعي، مركزاً على الدور الإصلاحي للزواج لإبطال تقاليد التبنّي الجاهلية.

يعتمد البحث على المنهج النقدي التحليلي المقارن، مفككاً القراءات الاستشراقية السلبية

(العاطفية، السياسية، الشخصية) ومقارناً إياها بالمصادر الإسلامية الأصلية وسياقها التاريخي والثقافي. ويظهر أن هذه القراءات المبنية على إسقاطات فردية أو خلفيات أيديولوجية مسبقة تتجاهل الأدلة التاريخية، مثل تأخير النبي ﷺ إعلان الوحي خشية المجتمع، وتكليف النبي ﷺ تنفيذاً للأمر الإلهي بمنهجية تشريعية، لا ذاتية. كما يظهر البحث أن التبريرات التشريعية للزواج من زينب معتبرة في الكتاب والسنة، وأن اتهامات تعدد الزوجات أو "الرغبة الجنسية" لا تقف على أساس زمنه أو أدق تفسيراته، خاصة مع الآيات التي تحظر الزواج بعد زينب وتوضح حدود ومقاصد الزواج النبوي.

وُثِّبَ النتائج أن الطعون في السلامة النفسية والسلوكية لشخصية النبي ﷺ تنطوي على انحرافات منهجية، وأن هذه الطعون لا تستند إلى دليل علمي أو نصي يعتمد رصانة المصادر. بينما تتضح النزعة الإصلاحية الشرعية لهذا الزواج ضمن بنية تشريعية لتصحيح العادات الجاهلية، وهو ما يرسخ سيرة النبي ﷺ كقائد تشريعي متزن وليس ضال نفسياً أو متأثراً بالهوى.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق. النبي محمد ﷺ. زينب بنت جحش. التنبؤ الجاهلي. المنهج النقدي. الطعن النفسي. الزواج النبوي. التحليل السلوكي. الإصلاح التشريعي.

Orientalist Studies and Attempts to Undermine Psychological Integrity of Prophet Muhammad (p.b.u.h.): Marriage to Zaynab bint Jahsh as Model

Ali Hussein Sadiq Al-Momen ¹

¹ Researcher from Iraq, residing in Iraq / International University
of Islamic Sciences / London ;
alialmomen644@hotmail.com
PhD in Islamic Law / PhD

Received:

08/02/2026

Accepted:

20/04/2026

Published:

29/06/2026

Keywords: Orientalism, Prophet Muhammad (p.b.u.h.), Zaynab bint Jahsh, Pre-Islamic Adoption, Critical Method, Psychological Impugnment, Prophetic Marriage, Behavioural Analysis, Legislative Reform.

NABIYUNA Journal

Sixth year- Volume

Six- 11th Edition

Muharram 1448 AH.

June 2026 AD.

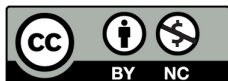
DOI:10.55568/n.v6i11.83-105.e

Abstract

This research presents an analysis of Orientalist methodology regarding the incident of Prophet Muhammad's (p.b.u.h.) marriage to Zaynab bint Jahsh, treating it as a prominent model for addressing psychological and behavioural dimensions of Prophetic character.

Orientalist discourse is divided into two primary trends. First is a biased, distorting trend that impugns the balance of the Prophet's (p.b.u.h.) motives and reasons for polygyny. This trend attempts to negate Prophethood itself through claims related to sexual obsession, political ambitions, or psychological illness, asserting opportunism in justifying personal actions via revelation. The second trend is characterised by objectivity and fairness, approaching the incident from legislative and social perspectives while focusing on the reformative role of marriage in nullifying pre-Islamic adoption practices.

The research adopts a critical, analytical, and comparative methodology, deconstructing negative Orientalist readings (emotional, political, and personalist) and comparing them with original Islamic sources and their historical and cultural context. It demonstrates that these readings, built



on individual projections or preconceived ideological backgrounds, ignore historical evidence—such as the Prophet’s (p.b.u.h.) delay in announcing revelation due to social apprehension, and his execution of divine command through a legislative rather than subjective methodology. Furthermore, the research shows that legislative justifications for marriage to Zaynab are established in Quran and Sunnah, and that accusations of polygyny or “sexual desire” lack foundation in the context of his era or most precise interpretations, particularly given verses prohibiting marriage after Zaynab and clarifying the limits and objectives of Prophetic marriage.

Results indicate that challenges to the psychological and behavioural integrity of the Prophet’s (p.b.u.h.) character involve methodological deviations and lack scientific or textual evidence from reliable sources. Conversely, the legitimate reformist nature of this marriage within a legislative structure to correct pre-Islamic customs is evident, establishing the life of the Prophet (p.b.u.h.) as a balanced legislative leader rather than one psychologically astray or influenced by whim.

المقدمة

تُعَدُّ شخصية النبي محمد ﷺ المحور المركزي في السيرة الإسلامية، ليس بوصفه نبياً رسولاً، أو قائداً رسالياً، أو مشرعاً فحسب، بل باعتباره النموذج الإنساني الكامل في التصور الإسلامي. وقد شكّلت هذه الشخصية، وسيرتها، موضوعاً محورياً في العديد من الدراسات الاستشرافية التي تنوّعت في أهدافها ومناهجها ومواقفها، وتباينت في درجات الإنصاف والموضوعية؛ حيث انقسم المستشرقون بين اتجاهات نقدية منحازة ومتطرفة، وأخرى معتدلة.

ومن بين القضايا التي حظيت باهتمام خاص في هذا السياق، البُعد النفسي والسلوكي في شخصية النبي ﷺ، لاسيما ما يتعلق بزيجاته وتعددتها ودوافعها. وقد شكّلت حادثة زواجه من زينب بنت جحش كما جاء في سورة الأحزاب الآية (٣٧)*^{٣٢١} نموذجاً بارزاً في هذا الإطار، نظراً لما تنطوي عليه من دلالات نفسية وسلوكية واجتماعية وتشريعية، ما جعلها موضع تركيز وتحليل موسّع لدى عدد من المستشرقين.

وتهدف هذه الدراسة إلى تحليل مواقف المستشرقين من هذه القضية ((زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش))، من خلال تصنيف قراءاتهم ضمن اتجاهين رئيسين:

- ١ - القراءات المنحازة التشويهية، التي سعت إلى تقويض صورة النبي ﷺ، والتشكيك في توازنه النفسي، ونقاء دوافعه، بل ونبوّته ذاتها، انطلاقاً من مقارنة انتقائية تنزع الوقائع من سياقاتها التاريخية والدينية. وينطلق أصحاب هذا الاتجاه من فرضية مفادها أن التشكيك في أهلية النبي ﷺ وإسقاطه سيؤدي بالضرورة إلى زعزعة الأساس الذي يقوم عليه الإسلام بوصفه رسالة إلهية.
- ٢ - القراءات الموضوعية، التي تتسم بقدر من الإنصاف، من خلال مقارنة الحادثة من منظور

١ ابن سعد محمد، الطبقات الكبرى، ج ٨ (دار الكتب العلمية، ١٩٩٣)، ص ٤٠-٤٥.

٢ ابن هشام عبد الملك، السيرة النبوية، محمد فوزي (دار الفكر، ١٩٨٩)، ص ٣٢٠-٣٢٢.

٣ ابن كثير إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، حسين عبد الله المحمود، ج ٧ (دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠)، ص ٥٤٤-٥٤٥.

٤ الطبري محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط ٢ ج ٤ (دار الفكر، ١٩٩٥)، ص ٣٩٠-٣٩٣.

* السيدة زينب بنت جحش هي إحدى زوجات النبي الأعظم محمد ﷺ، وإحدى الصحابييات البارزات في التاريخ الإسلامي. وُلدت في مكة حوالي عام ١٦ قبل الهجرة، في قبيلة قريش. كانت السيدة زينب متزوجة في البداية من زيد بن حارثة، وهو عبد مملوك تبناه النبي محمد ﷺ وأعتقه لاحقاً. بعد طلاق السيدة زينب من زيد، تزوجها النبي محمد ﷺ في السنة الخامسة للهجرة (حوالي ٦٢٧ م)، بناءً على أمر إلهي. شاركت السيدة زينب في العديد من الأحداث الهامة خلال الفترة النبوية، وكان لها دور في دعم النبي ﷺ ونشر الدعوة الإسلامية. توفيت في المدينة المنورة حوالي سنة ٥٠ هـ (٦٧٠ م).

علمي يعتمد تحليل الوقائع ضمن سياقاتها الزمانية والثقافية، بعيداً عن الأحكام المسبقة أو الرؤية الاستشراقية التقليدية ذات النزعة الاستعلائية.

وتطرح الدراسة الأسئلة الأساسية الآتية: إلى أي مدى تمكّنت القراءات الاستشراقية لسيرة النبي محمد ﷺ من بناء طعن علمي في سلامته النفسية والسلوكية؟ وما مدى نجاح هذه القراءات في استغلال حادثة زواجه من زينب بنت جحش لتكريس هذا الطعن؟ وما مدى التزامها بالمنهجية العلمية والموضوعية في هذا الطرح؟

وستعتمد الدراسة في منهجها على المقاربة النقدية التحليلية المقارنة، من خلال تحليل آليات تعاطي الخطاب الاستشراقي مع هذه الحادثة، والمتمثلة في نصوصه، وتفكيك البنى النفسية والتأويلية الكامنة في قراءاته، والكشف عن التناقضات المنهجية والمعرفية التي تعترها، وخاصة ما يتعلق بالقراءات المنحازة المتطرفة، ومقارنتها بالمصادر الإسلامية الأصلية، مع مراعاة السياقين التاريخي والنفسي، بهدف تفكيك آليات الطعن وتقييمها وفق معايير علمية.

أما الإطار النظري للدراسة، فيرتكز على ثلاث دعائم أساسية:

- ١- نظرية الاستشراق كما بلورها عدد من المفكرين العرب والمسلمين*، والتي كشفت عن الأسس المنهجية للتحيز في الخطاب الغربي.
- ٢- التحليل النقدي للخطاب الاستشراقي، بوصفه أداة لتفكيك أنماط اللغة والبناء السرد في النصوص الاستشراقية.

٣- التحليل النفسي الإسلامي^{٥٦٨}، لفهم أبعاد الاتزان النفسي في شخصية النبي ﷺ من منظور يستند إلى المرجعية الإسلامية.

٥ الطيب، محمد عبد الله، التحليل النفسي الإسلامي - الأسس والمفاهيم (دار الفكر المعاصر، ٢٠١١).

٦ علي ناصر، علم النفس الإسلامي - النظرية والتطبيق.

٧ شهابزي، محمد رضا، التحليل النفسي في الإسلام - أسس ونظريات، سمير أحمد.

٨ ناصري، حسين، علم النفس الإسلامي - مدخل تحليلي، ليلي محمود، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٢.

* طه عبد الرحمن، (مقدمة في الاستشراق)، إدوارد سعيد، (الاستشراق)، سامي عوض الله، (الاستشراق وثقافة الهيمنة) حسن حنفي، (نقد الاستشراق من منظور إسلامي)، ضياء الدين سردار، (الاستشراق)، عبد الوهاب المسيري، (في نقد الخطاب الاستشراقي)، محمد عبد الله عنان، (الاستشراق: مراجعة نقدية)، عبد الرحمن بدوي، (الاستشراق والتماثيل).

وتتجلى أهمية هذه الدراسة في مساهمتها في تصحيح التصوّرات الاستشرافية المغلوطة حول الجانب النفسي والسلوكي في شخصية النبي محمد ﷺ، وفضح التناقضات البنيوية في بعض الكتابات الاستشرافية في هذا المجال، فضلاً عن إثراء النقاش المعرفي المتعلق بكيفية مقارنة النصوص الدينية من خارج سياقها الحضاري والديني.

توصيفات المستشرقين لتجليات الخلل النفسي

تتضمّن كتابات عدد من المستشرقين الغربيين اتهامات صريحة للنبي محمد ﷺ، وخصوصاً فيما يتعلّق بسلامته النفسية والسلوكية ودوافعه الأخلاقية، حيث عمد بعضهم إلى التشكيك في نبوّته، وتفسير أفعاله من منطلقات مادية أو نفسية بحتة. وفيما يلي عرض لأبرز هذه الادعاءات:

١ - خيالات الوحي وتوظيفه:

أشار المستشرق المجري «إغناس غولدتسيهر» (١٨٥٠ - ١٩٢١) في كتابه «الدراسات المحمدية»^٩، والمستشرق الألماني «تيودور نولدكه» (١٨٣٦ - ١٩٣٠) في كتاب «تاريخ القرآن»^{١٠}، والمؤرخ الأمريكي «جون إدوارد وانسبرو» (١٩٢٨ - ٢٠٠٢) في كتاب «دراسات قرآنية»^{١١}، إلى أن النبي ﷺ تأثر ببيئته، وأن الوحي الذي كان يتلقّاه إنما هو تعبير عن دوافع نفسية داخلية، وليس مصدراً إلهياً. وزعم «غولدتسيهر» أن تعدّد الزوجات في الإسلام لا يعكس تشريعاً ربانياً بل رغبة شخصية، وأن بعض الآيات القرآنية، ومنها ما يتعلّق بزواجه من زينب، تمثّل تكييفاً دينياً لأهواء بشرية، مدعياً أن النبي استخدم الوحي لتبرير رغبة شخصية^{١٢}.

أما المستشرق الفرنسي «ماكسيم رودنسون» (١٩١٥ - ٢٠٠٤) في كتابه «محمد ﷺ»، فقد استخدم مقارنة نفسية - ماركسية، ونظر إلى النبي محمد ﷺ من منظور مادي - اجتماعي بحت،

٩ غولدتسيهر إغناس، الدراسات المحمدية، صالح عبد الفتاح محفوظ (دار الكتب العلمية، ١٩٨٦)، ص ٣٥-٥٠.

١٠ نولدكه تيودور، تاريخ القرآن، مصطفى عبد القادر عيسى (دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٨)، ص ٧٨-١٢٠.

١١ وانسبرو جون، دراسات قرآنية - مصادر وأساليب تفسير النصوص، مصطفى عبد الغني (دار الفكر، دمشق، سوريا، ٢٠٠٠)، ص ٤٥-٨٨.

١٢ غولدتسيهر، الدراسات المحمدية، ص ٢٠٠-٢١٠.

فأسقط نظرية (اللاشعور) * على النصوص الدينية، مدّعياً أن القرآن يبرّر ميل النبي ﷺ عبر الوحي^{١٣}. وعدّ المستشرق الإنجليزي «ديفيد صموئيل مارغليوث» (١٨٥٨-١٩٤٠) في كتابه «محمد ﷺ ونشأة الإسلام»، بأن بعض سلوكيات النبي ﷺ دليل على ضعف بشري ظاهر، متهماً النبي بأنه كان يُهيمُ البيئة النفسية والمجتمعية لهذه السلوكيات بدافع الهوى، وأنه كان يستخدم الوحي لتبرير التصرفات الخاصة لا لتوجيهها^{١٤}. أما المستشرق البلجيكي «هنري لامنس» (١٨٦٢-١٩٣٧) فقد ادّعى في كتابه «محمد ﷺ» أن النبي ﷺ كان ((يتستر بالرؤية الدينية لإشباع رغباته الشخصية))^{١٥}.

كما زعم بعض المستشرقين أن الوحي الذي كان يتلقاه النبي ﷺ ما هو إلا نوبات عصبية أو صرعية، إذ وصف المستشرق الإسكتلندي «ويليام موير» (١٨١٩-١٩٠٥) الوحي بأنه هلاوس ناتجة عن حالة عقلية غير طبيعية^{١٦}. واعتبر المستشرق الفرنسي «ريجيس بلاشير» (١٩٠٠-١٩٧٣) أن تجربة الوحي تمثل ظاهرة هستيرية ذات طابع ديني^{١٧}. أما «نولدكه»، فرغم أنه لم يقل بذلك صراحة، فإنه لم يستبعد هذا التفسير النفسي المتأثر بالبيئة الروحية في الجزيرة العربية^{١٨}.

١٣ رودنسون ماكسيم، محمد ﷺ، طه عبد الرحمن (دار الطليعة، ١٩٨٢)، ص ١٢٠-١٣٥.

١٤ مارغليوث ديفيد صموئيل، محمد ونشأة الإسلام، عبد الوهاب عزام (دار النهضة العربية، ١٩٨٢)، ص ١٥٥-١٧٠.

١٥ لامنس هنري، محمد، سامي الدروبي (دار صادر بيروت لبنان، ١٩٨٤)، ص ١١٠-١٢٥.

١٦ موير ويليام، حياة محمد، محمد سعيد حمادة، طه (دار المعارف، ٢٠٠٣)، ص ٢٠٠-٢١٥.

١٧ بلاشير ريجيس، النبوة عند محمد ﷺ، محمد كامل حسين (دار المعارف، ١٩٦٥)، ص ٩٠-١٠٥.

١٨ نولدكه، تاريخ القرآن.

* نظرية اللاشعور: مفهوم أساسي في علم النفس يشير إلى العمليات العقلية التي تحدث خارج نطاق الوعي الواعي. أسس "سيغموند فرويد" هذه النظرية، مؤكداً أن اللاشعور يحتوي على أفكار ورغبات ومشاعر مكبوتة تؤثر على سلوك الإنسان دون أن يكون مدركاً لها. هذه العمليات اللاواعية تؤثر على الأحلام، والأفعال اللاإرادية، والقرارات، وتشكل شخصية الفرد. يُعتبر اللاشعور مخزناً للصرعات النفسية المكبوتة التي يمكن أن تؤدي إلى اضطرابات نفسية إذا لم يتم التعامل معها.

٢- سفك الدماء:

اتهم بعض المستشرقين النبي محمد ﷺ بالميل إلى العنف وسفك الدماء. فقد اعتبر «مارغليوث» أن في شخصية النبي ﷺ غلظة وانتقاماً^{١٩}، بينما وصفه «لامنس» بأنه زعيم قبلي استخدم الدين لتصفية الخصوم^{٢٠}. حتى المستشرق الإسكتلندي «ويليام مونغمري وات» (١٩٠٩-٢٠٠٦)، رغم توازنه النسبي، أشار إلى أن النبي ﷺ استعمل الحرب كأداة سياسية لتوسيع سلطته^{٢١}.

٣- السلطة والجاه:

زعم بعض المستشرقون أن النبي ﷺ كان يسعى للسلطة أكثر من كونه مصلحاً دينياً. فرأى «رودنسون» أنه كان قائداً اجتماعياً بدوافع مادي^{٢٢}. وادّعى «لامنس» في كتاب «فاطمة ونساء محمد ﷺ» أن مشروع النبي محمد ﷺ هو مشروع سياسي متستر بالدين^{٢٣}، بينما ألح المستشرق الألماني «كارل بيكر» (١٩٥١-١٨٧٩) إلى أن النبوة كانت غطاء للسيطرة على الجزيرة^{٢٤}.

٤ - النزعة الجنسية:

من أبرز الاتهامات التي كررها المستشرقون في محاولاتهم للطعن في شخصية النبي محمد ﷺ، تلك التي تتعلق بما سموه (النزعة الجنسية)، إذ وصفوه بأنه كان مولعاً بالنساء إلى درجة أثرت على قوته البدنية والنفسية، مستدلين على ذلك بتعدد زوجاته وطبيعة زواجه ببعضهن، كالسيدة خديجة بنت خويلد وعائشة بنت أبي بكر والسيدة زينب بنت جحش.

ادعى المفكر الفرنسي «غوستاف لوبون» (١٨٤١-١٩٣١) أن الضعف الوحيد في شخصية محمد ﷺ يتمثل في ميله المفاجئ نحو النساء، رغم أنه عاش مخلصاً لزوجته الأولى السيدة خديجة

١٩ ديفيد صموئيل، محمد ونشأة الإسلام ص ١٧٥-١٨٥.

٢٠ هنري، محمد، ص ١٣٠-١٤٠.

٢١ وات ويليام مونغمري، محمد في المدينة، د. حسن أبو السعود (١٩٩٧)، ص ٣١٠-٣٢٠.

٢٢ ماكسيم، محمد ﷺ، ص ١١٥-١٣٠.

٢٣ لامنس هنري، فاطمة ونساء محمد، ب، ط، ب، ص ٤٠-٥٥.

٢٤ بيكر كارل لوتس، محمد النبي ﷺ، محمد شفيق غربال (دار المعارف، ١٩٥٥)، ص ٧٥-٩٠.

حتى سن الخمسين^{٢٥}. ويستشهد بقول النبي ﷺ: ((حُبَّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءَ وَالطِّيبَ، وَجَعَلْتُ قِرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ))^{٢٦}. ويضيف بأن النبي ﷺ لم يكن يفرّق بين صغيرات السن وكبيرات السن في الزواج، فاقترن بعائشة وهي فتاة صغيرة، وتزوج ميمونة في سن متقدمة^{٢٨}. وقد أشار "غولدتسيهر" أيضاً، إلى الحديث ذاته قائلاً بأنّ هذه العبارة وأمثالها استخدمها خصوم النبي محمد ﷺ للطعن فيه، واتهامه بالانشغال المفرط بالنساء، وهو أمر لا يليق بصفة النبوة^{٢٩}. في حين وصف "لامنس" حياته الزوجية بأنها انعكاس لرغبة جسدية مفرطة^{٣٠}. بينما رأى "رودنسون" أن دافع تعدد زوجاته لم يكن إلا غريزة مغلفة بمسوغات دينية. وذهب إلى تحليل متكلف لوضع النبي ﷺ النفسي بقوله إن النبي ﷺ أحس بعاطفة عميقة تجاه خديجة، لكنه حين وصل إلى سن الشيخوخة، أراد أن (يعوّض) هذه العاطفة بالنساء الشابات اللاتي أحطن به، وربما أن فقدان النبي ﷺ لأمه في طفولته هو الذي دفعه لحب السيدة خديجة (عليها السلام) (المرأة المتقدمة في السن)^{٣١}، في إشارة واضحة إلى عقدة «أوديب»^{٣٢}.

بدوره ادعى المستشرق الفرنسي «إميل درمنغام» (١٨٦٧-١٩٤٤) أن النبي محمد ﷺ أصبح أكثر ميلاً للنساء في العقد الأخير من حياته، وهو ما يدلّ على شهوة غير منضبطة^{٣٣}. ورغم أن بعض المستشرقين أشار إلى نزعة الزهد والنسك في شخصية النبي ﷺ قبل البعثة، وأن النبي ﷺ كان ناسكاً زاهداً، لكنه يعود ليصوّروه شخصاً غارقاً في الملذات. ويعدّ "مونتغمري وات" مثال واضح على هذا التناقض. فهو يعترف بأن بعض زيجات النبي ﷺ كانت ذات طابع

٢٥ غوستاف لوبون، حضارة العرب، عادل زعير، ب. ط، ص ١٢٠-١٣٠.

٢٦ صحيح البخاري، كتاب التفسير، ح ٤٨١٦.

٢٧ الحر العاملي محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج ٢ (دار الحديث، ١٩٨٣)، ص ١٤٤.

٢٨ لوبون، حضارة العرب، ص ١٣٠-١٤٠.

٢٩ غولدتسيهر، الدراسات المحمدية، ص ٢١٠-٢٢٠.

٣٠ هنري، فاطمة ونساء محمد، ص ٥٦-٧٠.

٣١ ماكسيم، محمد ﷺ، ص ١٤٠-١٥٠.

٣٢ فرويد سيغموند، تفسير الأحلام، محمود خطاب (دار الطليعة، ١٩٨٦)، ص ١٢٠-١٣٠.

٣٣ درمنغام إميل، محمد ﷺ ونساء الإسلام، عبد الله البكر (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٠)، ص ٩٠-١٠٥.

سياسي، لكنه لا يتردد مع ذلك في الإشارة إلى وجود علاقات خارج الإطار الشرعي، وفقاً لما سَمَّاهُ (النظام الأممي القديم)^{٣٤}، في اتهام مباشر للنبي ﷺ بارتكاب المحرمات، وهو اتهام يمسّ شرفه وشرف أمهات المؤمنين. ورغم أن وات نفسه يعترف بأن تعدد زوجات النبي ﷺ كانت له دوافع سياسية في غالب الأحيان، إلا أن كتاباته، شأنها شأن معظم الاستشراق البريطاني، تغطي عليها النزعة الاتهامية وتجاهل السياق الاجتماعي والثقافي.

وفي مقابل هذه الشبهات الاستشرافية؛ فإن التحدي القرآني للعرب بأن يأتوا بمثله ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: ١٣)، ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨)، يؤكد أن القرآن ليس من صنع بشر، ولو كان كذلك لتمكنوا من تقليده. وتجاهل هذه الشبهات شهادات الصحابة على وعي النبي ﷺ الكامل خلال وبعد الوحي، إذ إن المصاب بالصرع يفقد السيطرة، بينما كان النبي ﷺ يبلغ فورياً بعد نزول الوحي، ويملي النص النازل على كتاب الوحي. ومن خلال مراجعة عامة لآيات القرآن الكريم؛ هل يدلّ أن ما تحويه من صياغات لغوية وبلاغية لا يمكن الإتيان بمثلها، وأحكام عقيدية وتشريعية وأمثال ووعظ وإرشاد، يدل على أنها هلوسة ونتاج حالات صرع^{٣٥ ٣٦ *}؟

ومن جانب آخر؛ فإنّ غزوات النبي ﷺ كانت جميعها دفاعية أو بسبب نقض عهد الخصوم، ولم يشنّ يوماً حرباً من أجل السيطرة، أو احتلال أراضي الغير، أو إكراه الناس على دخول الدين. وكان يوصي بعدم قتل النساء والأطفال، وبالعفو عند المقدرة، كما فعل يوم فتح مكة^{٣٧}، ما

٣٤ ويليام مونتغمري، محمد ﷺ في المدينة، ص ٢٥٠-٢٦٠.

٣٥ القيسي، محمد عبد الله، الطب النفسي، ص ٤٥-٤٧.

٣٦ الشمري فهد، علم الأعصاب والطب النفسي، ص ١٢٠-١٢٣.

٣٧ بن هشام عبد الملك، السيرة النبوية، ص ٥٦٨-٥٧٠.

* الصرع: اضطراب عصبي مزمن يتميز بنوبات متكررة ناجمة عن نشاط كهربائي غير طبيعي في الدماغ. أعراضه: تشنجات، فقدان وعي مؤقت، وحركات لا إرادية. أما الهلوسة فهي تجربة إدراكية مزيفة تحدث دون وجود محفز حسي، تشمل سماع أصوات، رؤية أشياء غير موجودة، أو أحاسيس خاطئة. وكلا الحالتين لا تنتجان كلاماً مفهوماً ونصوصاً منظمة واضحة.

يدل على رحمة واضحة في الحروب. أما قياس ما حدث بعد رحيل النبي ﷺ من غزوات وتمدد عسكري؛ فإن الرسول ليس مسؤولاً عنه ولم يأمر بها، بل أن عمليات الغزو هذه إشكاليات كبيرة على المستوى الشرعي.

كما أن اتهام النبي ﷺ بنزعة الجاه والسلطة، يسقط بالكامل أمام سيرته التي تتضمن رفض أية مكاسب مادية أو سياسية مقابل التخلي عن دعوته الدينية، ومنها عروض قريش^{٣٨}، بل تعرّض - بدل ذلك - للاضطهاد والمقاطعة. فضلاً عن أنه مات ودرعه مرهونة^{٣٩}، ولم يورث منصب النبوة لأحد، وإنما ورث إمامة الأمة لأئمة آل البيت (عليهم السلام) وفق ما أمره الله به، وليس بناء على رغبته الشخصية.

أما شبهة تعلق النبي ﷺ بالنساء فهي تفتقر إلى الأساس، لأنّ الواقع التاريخي لسيرته يظهر أن معظم زوجاته كنّ أرامل أو متقدمات في السن، وتزوج بهنّ لأغراض إنسانية أو اجتماعية أو سياسية. وقد كانت زوجته البكر الوحيدة هي عائشة، وكانت سن زواجها من النبي ﷺ مألوفاً في المجتمع العربي آنذاك، ولا يمكن تقييمها بمقاييس العصر الحديث بمعزل عن سياقها الزمني والثقافي. ولا يمكن فهم سيرة النبي محمد ﷺ في باب الزواج إلّا في إطار مقاصدها العليا، المتمثلة في تحقيق المصلحة الاجتماعية، وإقامة الروابط السياسية، وحماية الأرامل، وتعليم الأمة، وترسيخ مبادئ الشريعة. ولم يكن الأمر رغبة ولا شهوة، بل مسؤولية كبرى حملها نبي الأمة بإخلاص ونقاء، ونفّذها وفق أمر ربه، لا هوى نفسه.

بل أن بعض المفكرين الغربيين لم يتبعد عن الإنصاف والموضوعية في هذا المجال، أمثال الفيلسوف الأسكتلندي «توماس كارلايل» (١٧٩٥-١٨٨١)، أن النبي محمداً ﷺ لم يكن عبداً لشهواته كما يدّعي أعداؤه، ومن الظلم أن تصوّره رجلاً لا يهيمه إلا قضاء رغباته. هذا حكم جائر لا يمتّ للحقيقة بصلة، فما كان النبي محمد ﷺ كذلك^{٤٠}.

٣٨ بن هشام عبد الملك، السيرة النبوية، ص ٣٣٥-٣٤٠.

٣٩ بن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، ص ٨٢٠-٨٢٥.

٤٠ كارلايل توماس، عن الأبطال والعبادة البطولية، عبد العزيز الدوري (دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٩٩٨)، ص ٢١٠-٢٢٠.

والحقيقة أنّ ما يطرحه بعض المستشرقين من شبهات بشأن وجود خلل نفسي وسلوكي، أو رغبة جنسية مفرطة لدى النبي ﷺ، إنما هو نتاج لمجموعة من الانحرافات المنهجية، منها:

- ١ - إسقاطاتهم النفسية الخاصة على شخصية دينية معصومة.
 - ٢ - تجاهلهم التام للرواية الإسلامية الصحيحة.
 - ٣ - تعمدهم استبعاد السياق الحضاري والتاريخي.
 - ٤ - خضوعهم لمرجعات لاهوتية أو أيديولوجية معادية مسبقاً للإسلام.
- وهذه النزعة بينّها بوضوح المستشرق الأمريكي الهولندي «صموئيل زويهر» (١٨٦٧-١٩٥٢) حين صرح بأنهم لا يسعون لتحويل المسلم إلى مسيحي، فهذا مستحيل، إنما الهدف أن نجعله بلا دين، وحين لا يعود مسلماً، ولا يدين بأي عقيدة، يكون عندها أضعف ما يكون، وأسهل ما يُقَاد *.

التفسيرات الاستشرافية لزواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش

يُعدّ زواج النبي محمد ﷺ من زينب بنت جحش من أبرز الموضوعات التي أثارت اهتمام المستشرقين، حيث شكّل مادة خصبة للنقاش والجدل. وقد تفاوتت مواقفهم بين من وظف هذا الحدث للطعن في شخصية النبي والتشكيك في نبوّته، وبين من تناوله في سياقه الاجتماعي والديني كمحطة تشريعية محورية في الإسلام. وقد انقسمت تحليلاتهم بين اتهامات بدوافع شخصية خالصة وراء الزواج، ورؤى ترى فيه خطوة لإبطال نظام التبني الجاهلي.

كانت زينب زوجةً لزيد بن حارثة * *، وهو مولى النبي ﷺ وابنه بالتبني قبل أن يُنسخ هذا النظام بنزول آية تحظر نسبة الأبناء لغير آبائهم الحقيقيين. وبعد طلاق زيد منها، أمر الله نبيه بالزواج منها، في سياق إلغاء هذه الأعراف المتجذرة في البيئة القبلية العربية. وقد جاء ذلك

* صموئيل زويهر: مبشراً مسيحياً هولندي-أمريكي له دور كبير في الاستشراق المسيحي، ومواقفه توضح استراتيجية إضعاف المسلمين دون مباشرة تحويلهم. أهم كتابين له في هذا المجال: المسيحي المسلم، الصادر في العام ١٩١٣، وكتاب تأثير الأرواحية على الإسلام صدر في العام ١٩٢٠ عن دار ماكميلان في نيويورك. وقد اعتمدت في استخراج نصوصها على ترجمات غير رسمية.

** زيد بن حارثة: صحابي جليل وأحد أوائل من أسلموا، وله مكانة رفيعة في التاريخ الإسلامي. ولد حوالي ٢٠ قبل الهجرة. كان عبداً أعنته النبي ﷺ محمد ثم تنبأه. وبعد أن ألغى الإسلام عادة التبني بقي مع الرسول ﷺ وحافظ على اسمه الأصلي. قائد جيش المسلمين في غزوة مؤتة التي استشهد فيها، وذلك في السنة الخامسة للهجرة (٦٢٩ م)، ودفن في مؤتة بالأردن، حيث يعدّ أول شهيد من الصحابة في ساحة المعركة. تميز بعمق إخلاصه وفائه وخدمته للنبي ﷺ.

مصرحاً في القرآن الكريم: ﴿... فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (الأحزاب: ٣٧).

وما يلي أهم التفسيرات الاستشراقية التي تناولت هذا الموضوع:

١- التفسير العاطفي للزواج:

مع أن زواج زينب وزيد لم يدم طويلاً بسبب عدم الانسجام، فإن المستشرقين ربطوا نهاية هذا الزواج ببواعث عاطفية، متجاهلين السياق التشريعي الذي أحاط بالحدث. وقد ساد في بعض الأطروحات الاستشراقية نزوعٌ لتفسير هذا الزواج تفسيراً نفسانياً أو رومانسياً، يرى أن النبي ﷺ وقع في حب زينب وهي لا تزال زوجة زيد، وأنه دبر طلاقها ليتزوجها لاحقاً. وقد روج لهذا التفسير عدد من المستشرقين، أبرزهم: "مارغليوث"^{٤٣}، والمستشرق الإنجليزي "جورج سيل" (١٦٩٧-١٧٣٦)^{٤٤}، والمستشرق البريطاني "ريجنالد ألين نيكلسون" (١٨٦٨-١٩٤٥)^{٤٥}، والمستشرق البريطاني "ريتشارد بيل" (١٨٧٦-١٩٥٢)^{٤٦}، والمستشرق الألماني "جوزيف شاخت" (١٩٠٢-١٩٦٩)^{٤٧}، و"غولدتسيهر"^{٤٨}، و"رودنسون"^{٤٩}، و"مونتغمري وات"^{٥٠}، و"لامنس"^{٥١}، والمؤرخ البريطاني "أرنولد توينبي" (١٨٨٩-١٩٧٥)^{٥٢}.

ادّعى هؤلاء أن النبي ﷺ أحب زينب قبل طلاقها، وأن قوله تعالى: ﴿... وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ... ﴾ (الأحزاب: ٣٧)، إنما يعكس مشاعر مكبوتة تجاهها. وزعم "مارغليوث"،

٤٣ ديفيد صموئيل، محمد ونشأة الإسلام، ص ١٢٠-١٣٠.

٤٤ سيل جورج، ترجمة معاني القرآن، محمد عبد الرحمن (دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٥)، ص ٩٠-٩٥.

٤٥ نيكلسون ريجنالد ألين، تاريخ الأدب العربي، عبد الله يوسف (دار الفكر، ١٩٩٢)، ص ١٥٠-١٥٥.

٤٦ بيل ريتشارد، مقدمة لدراسة القرآن، أحمد عبد الرحمن (دار صادر بيروت لبنان، ١٩٨٥)، ص ١٠٠-١١٠.

٤٧ شاخت جوزيف، تراث الإسلام، محمد سعيد رمضان البوطي (دار القلم، ١٩٩٠)، ص ١٣٠-١٤٠.

٤٨ غولدتسيهر، الدراسات المحمدية، ص ١٤٠-١٥٠.

٤٩ ماكسيم، محمد ﷺ، ص ١٦٠-١٧٠.

٥٠ ويليام مونتغمري، محمد في المدينة، ص ١١٠-١٢٠.

٥١ هنري، محمد، ص ٩٥-١٠٥.

٥٢ توينبي أرنولد، دراسة في التاريخ، عبد الرحمن بدوي (دار الطليعة، ١٩٧٢)، ص ٥٠٠-٥١٠.

أن النبي ﷺ دبر الطلاق بدافع عاطفي، واتهمه بأنه هياً البيئة النفسية والاجتماعية ليتمكن من الزواج بها، معتبراً الوحي مجرد وسيلة لتبرير رغبات شخصية^{٥٣}. وقد ذهب "غولدتسيهر" إلى أن هذا الحدث يمثل تكييفاً دينياً لأهواء بشرية^{٥٤}. أما "مونتغمري وات"، فرغم اعترافه بجوانب أخلاقية في شخصية النبي، فقد مال إلى فرضية الدافع الشخصي، مشيراً إلى أن رغبة محمد في زينب كانت العامل الحاسم في الطلاق^{٥٥}.

٢- التفسير الاجتماعي السياسي:

رأى بعض المستشرقين أن الزواج لم يكن نتيجة عاطفة، بل أداة إصلاحية ضمن مشروع النبي ﷺ لتقويض البنى الاجتماعية الجاهلية، وعلى رأسها نظام التبني. ومن أبرز من تبني هذا التفسير المؤرخ البريطاني الأمريكي «برنارد لويس» (١٩١٦-٢٠١٨)^{٥٦}، و«وليم موير»^{٥٧}، والمؤرخ الأمريكي «مايكل هارت» (١٩٣٢-)، الذي أشار إلى أن هذا الزواج شكّل جزءاً من استراتيجية لتوسيع سلطة النبي ﷺ وترسيخ نظام تشريعي جديد^{٥٨}. وقد رأى هؤلاء أن زواج النبي ﷺ من مطلقة ابنه بالتبني، كان خطوة رمزية لكسر الموروث الاجتماعي الذي كان يعامل المُتَبَنَّى كابن حقيقي، معتبرين أن الآية القرآنية جاءت لتبرير هذا الفعل لا لتشريع.

٣- التفسير الشخصي:

وهو ينطوي على اتهام للنبي ﷺ بتفصيل الأحكام وفق ظروفه الشخصية؛ فقد ذهب بعض المستشرقين إلى أن النبي ﷺ كان يصوغ التشريعات وفق مقتضيات حياته الخاصة. ومن هؤلاء:

٥٣ ديفيد صموئيل، محمد ونشأة الإسلام، ص ١٢٠-١٣٠.

٥٤ غولدتسيهر، الدراسات المحمدية، ص ١٤٠-١٥٠.

٥٥ ويليام مونتغمري، محمد في المدينة، ص ١١٠-١٢٠.

٥٦ لويس برنارد، العرب في التاريخ، عبد الله أبو سلمان، ط ٢ (دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٩٩٨)، ص ٢٠٠-٢١٠.

٥٧ ويليام، حياة محمد، ص ٣١٥-٣٢٠.

٥٨ هارت مايكل، المائة الأوائل، عبد القادر طاش ماخ (دار الحضارة، ١٩٩٩)، ص ٦٨-٧٢.

«إغناس غولدتسيهر»^{٥٩}، و«جون وانسبرو»^{٦٠}، و«تيودور نولدكه»^{٦١}، الذين زعموا أن زواج النبي ﷺ من زينب مثل انحرافاً عن القيم الأخلاقية التي نادى بها الإسلام، مدّعين أن النبي ﷺ أباح لنفسه ما منعه عن غيره، وأنه خشي من كلام الناس لا من مخالفة التشريع، مستدلين بالآية: ﴿... وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ...﴾ (الأحزاب: ٣٧). وقد استند بعضهم إلى أقوال عائشة بنت أبي بكر، كقولها ((ما أرى ربك إلا يسارع في هواك))^{٦٢}، لتدعيم هذا التفسير*.

٤- مواقف معتدلة ومُنصفة:

في مقابل هذه التفسيرات غير الموضوعية، برزت مواقف أكثر توازناً لبعض المستشرقين الذين سعوا إلى قراءة الحدث ضمن إطاره الديني والتشريعي، أبرزهم: الكاتب الأمريكي «واشنطن إيرفنج» (١٧٨٣-١٨٥٩)، الذي أكد أن الزواج لم يكن بدافع شخصي، بل حمل أبعاداً تشريعية واضحة^{٦٤}، والمؤلفة البريطانية «كارين أرمسترونغ» (١٩٤٤-)، التي رأت أن التناول الاستشراقي لهذا الحدث تغافل عن الواقع الاجتماعي والتشريعي الذي نشأ فيه^{٦٥}، و«مونتغمري وات» في كتاب «محمد ﷺ: نبي ورجل دولة»، الذي أكد أن إسقاط المفاهيم الغربية على السياق الإسلامي أدى إلى تشويه تفسير هذا الزواج^{٦٦}، وأخيراً الأكاديمي الأمريكي «جون لويس إسبوزيتو» (١٩٤٠-) في كتابه «الإسلام: الطريق المستقيم»، الذي

٥٩ غولدتسيهر، الدراسات المحمدية، ص ١٥٠-١٥٥.

٦٠ جون، دراسات قرآنية: مصادر وأساليب تفسير النصوص، ص ١٨٠-١٨٥.

٦١ نولدكه، تاريخ القرآن، ص ٢١٠-٢١٥.

٦٢ البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، محمد زاهد الكوثري، ط ٢ ج ٦ (دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٩٩٥)، ص ١٥٨.

٦٣ مسلم، صحيحه، فيما لم تنقله كتب الحديث الشيعية الأساسية، أحمد شاكر، ج ٣، ص ٢١٠.

٦٤ إيرفينغ واشنطن، محمد وخلفاؤه، يوسف زيدان، ط ٢ (دار الشروق، ٢٠٠٥)، ص ٤١٠-٤١٥.

٦٥ أرمسترونغ كارين، محمد ﷺ: سيرة النبي، محمد عبد الكريم الحوطي (دار الساقى، ٢٠٠٤)، ص ٣٥٠-٣٥٥.

٦٦ وات وليام مونتغمري، محمد: نبي ورجل دولة، عبد السلام المسدي، ط ٤ (دار القلم، ٢٠١٠)، ص ٢٧٥-٢٨٠.

* مونتغمري وات: يكشف جوانب إنسانية دافئة للنبي ﷺ، قد تُستخدم لتبرير تشريعات تتعلق بحياته الشخصية. انظر كتابه محمد ﷺ في المدينة، ص ١١٥-١٢٠؛ واستخدم «مارغليوث» مناقشة عائشة للنبي ﷺ لتأكيد فكرة أن النبي ﷺ أحياناً كان يبرّر أفعاله الشخصية عبر الكشف عن الوحي، كما جاء في كتابه محمد ﷺ ونشأة الإسلام، ص ١٢٥-١٣٠؛ فيما يرى «غولدتسيهر» أن هذه العبارة تدل على استخدام النبي ﷺ لعنصر شخصي في خلفية التشريع، مع تأكيد أن الوحي كان يعلن تعديلاً شرعياً لاحقاً، حسب ما جاء في كتابه الدراسات المحمدية، ص ١٤٢-١٤٦؛ كما تناول «رودنسون» النص وفسّره على أنه مبرر لقرارات شخصية تتعلق بحياته الخاصة. انظر كتابه محمد ﷺ، ص ١٦٥-١٧٠؛ ويستشهد «لامنس» أيضاً بقول عائشة ليوّضح كيف أن النبي ﷺ ربما أصدر تشريعات تتوافق مع مشاعره وعلاقات حياته الخاصة. محمد ﷺ، ص ٩٨-١٠٣.

شدّد على أن الهدف من الزواج كان إصلاح النظرة القبلية لمفهوم التبني^{٦٧}.

ويكشف تتبع الآراء الاستشرافية حول زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش عن انقسام في المواقف بين اتجاهات متشددة حملت طعناً وتشكيكاً وتشويهاً، وأخرى حاولت تقديم قراءة موضوعية تأخذ بالاعتبار السياق التشريعي والاجتماعي للحدث. ورغم التباين في التفسيرات، إلا أن كثيراً من المستشرقين المعتدلين أقرّوا بأن هذا الزواج لم يكن بدافع عاطفي أو رغبة شخصية، بل جاء ضمن منظومة تشريعية هدفت إلى إصلاح أعراف متجذرة في المجتمع العربي.

وعند مناقشة التفسيرات المنحازة المتطرفة الثلاثة (العاطفي، والاجتماعي السياسي، والشخصاني)؛ سنجد أن التفسير العاطفي يفتقر إلى السند التاريخي والأدلة الموثوقة؛ إذ لا يوجد نص معتمد من الصحابة أو المفسرين الأوائل يؤكد هذا الادعاء. كما أن الآيات المتعلقة بالحادثة لا تشير إلى مشاعر شخصية، بل توضح أن النبي ﷺ علم بوحي أن السيدة زينب ستكون زوجته بعد طلاق زيد، لكنه أرجأ الإعلان عن ذلك خشية كلام الناس: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ...﴾ (الأحزاب: ٣٧). وقد دأب النبي ﷺ على حثّ زيد على الإمساك بزوجه والإحسان إليها*^{٦٨ ٦٩ ٧٠}، مما ينفي أي بُعد عاطفي شخصي في الحدث.

أما التفسير السياسي، فهو قراءة جزئية تهّمش البعد الديني. وعلى الرغم من أن هذه القراءة أكثر واقعية من الرؤية الرومانسية، فإنها تُغفل بُعداً جوهرياً، وهو أن النبي لم يكن يتحرك في كل حياته بدوافع سياسية ذاتية، بل كان ينفذ أمراً إلهياً في إطار إصلاح اجتماعي تشريعي، كما سيأتي. كما أن افتراض أن النبي ﷺ كان يصوغ التشريعات بما يتوافق مع ظروفه الخاصة، يصطدم بحقائق

٦٧ إسبوزيتو جون لويس، الإسلام: الطريق المستقيم، محمد جواد علي، ط ٣ (المركز الثقافي الإسلامي، ٢٠٠٢)، ص ١٢٠-١٢٥.

٦٨ ابن كثير، تفسير القرآن بدر الدين العيني، ج ٤، ص ١٣٢-١٣٤.

٦٩ الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ج ٨، ص ٣١١.

٧٠ الطوسي، تفسير التبيان، ج ٨، ص ٣١١.

* دأب النبي ﷺ على حثّ زيد على الإمساك بزوجه والإحسان إليها. ويذهب المفسرون إلى أن الآية ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ...﴾ (الأحزاب: ٣٧) قد نزلت في توصيف العلاقة بين زيد بن حارثة وزوجه السيدة زينب بنت جحش، وذلك حين شكاز زيد للنبي ﷺ من زينب بنت جحش.

قرآنية ثابتة، منها أن كثيراً من الأحكام كانت في غير صالح النبي على المستوى الشخصي، كتحريم الزواج عليه بعد زينب: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ (الأحزاب: ٥٢). كما أن القرآن فرض عليه التزامات دينية وشخصية لم تُفرض على غيره، مما يؤكد استقلالية التشريع عن رغباته الذاتية.

السياقات التشريعية لزواج النبي من زينب بنت جحش

١ - إبطال التبني:

كان العرب في الجاهلية يعاملون الابن بالتبني كابن حقيقي في النسب والميراث والزواج. وقد جاء الإسلام ليُبطل هذا النظام، وأمر الله (عز وجل) نبيه ﷺ أن يُجسد هذا التشريع بنفسه: ﴿... وَمَا جَعَلَ أَذْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ (الأحزاب: ٤)، ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ...﴾ (الأحزاب: ٥). وقد استخدم المستشرق "جون إسبوزيتو" هاتين الآيتين لتوضيح أن الزواج من زينب كان جزءاً من عملية تصحيح تشريعي لمفاهيم النسب والقربا في المجتمع العربي القديم.^{٧١}

٢ - تنفيذ الأمر الإلهي رغم التبعات:

أخّر النبي ﷺ إعلان الوحي خشية الفتنة، لكنه امتثل للأمر الإلهي بعد نزول الآية، ما يدل على خضوعه للوحي لا لانفعالات شخصية: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦). وقد أشار "مونتغمري وات" إلى أن هذه الآية دليل على أن النبي ﷺ كان يطبق الوحي الإلهي بدقة، حتى في المسائل الحساسة.^{٧٢}

٧١ جون لويس، الإسلام: الطريق المستقيم، ص ١٢٠-١٢٥.

٧٢ وليام مونتغمري، محمد ﷺ: نبي ورجل دولة، ص ٢٧٥-٢٨٠.

٣- تفكيك مفهوم الأبوة الرمزية:

تؤكد الآية ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٠)، أن النبي ﷺ ليس (أبا) لزيد من حيث النسب أو التشريع، مما ينفي أي حرج شرعي في زواجه من مطلقة زيد. وقد استخدمها المستشرقون المنصفون، أمثال «مونتغمري وات»^{٧٣} و«آرمسترونغ»^{٧٤}، لدحض التأويلات العاطفية.

٤- الشبهة الأخلاقية:

لم يواجه هذا الزواج اعتراضاً من الصحابة، بل فهموا بوضوح أن الهدف كان تشريعاً. ولو كانت غايته شخصية، لما تعرّض النبي ﷺ للنقد من المنافقين، وما نزل الوحي بتشريع. كما أن النبي ﷺ كان متزوجاً من نساء أخريات، ولا حاجة له بزواج إضافي من منظور شخصي، مما يُعزز أن الهدف كان إصلاحاً اجتماعياً وتشريعاً عاماً. وتكشف القراءة التشريعية أن زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش لم يكن دافعاً عاطفياً ولا خطوة سياسية، بل جاء تنفيذاً لأمر إلهي، ضمن إطار تشريعي هدفه إبطال نظام التبني في المجتمع الجاهلي.

^{٧٣} وليام مونتغمري، محمد: نبي ورجل دولة، ص ٢٨٠-٢٨٥.

^{٧٤} كارين، محمد ﷺ سيرة النبي، ص ٣٥٠-٣٥٥.

النتائج والخاتمة

يمثل موضوع زواج النبي محمد ﷺ من زينب بنت جحش نموذجاً لكيفية تعامل الدراسات الاستشراقية مع القضايا الحساسة في السيرة النبوية، وهو يبين الفارق بين منهجين: منهج يسعى إلى الطعن في شخصية النبي ﷺ من خلال إسقاطات ذاتية وتحليلات انتقائية، وآخر يحاول الاقتراب من روح الموضوعية العلمية.

وقد عمد المستشرقون ذوو النزعة المخاصمة للإسلام إلى استغلال هذه القضية كأداة لتقويض شخصية النبي ﷺ، ولا سيما في بُعديها النفسي والسلوكي، عبر تفسيرات عاطفية وجنسية وسلطوية تنزع الحدث من سياقه التشريعي والاجتماعي، وتُسقط عليه تصوّرات نمطية عن السلطة والجنس. وكشفت محاولاتهم عن تجاهل متعمّد للسياق الاجتماعي والتشريعي للإسلام، أو جهل به، بهدف التشكيك في نزاهة النبي ﷺ وعدالته، والادعاء بأنه شخصية غير سوية، بما يؤدي إلى التشكيك في أهليته للنبوّة والرسالة، وهو أقصر طريق لضرب الإسلام من خلال الطعن في أهلية مؤسسه.

تُظهر هذه القراءات وجود انحرافات منهجية واضحة في الخطاب الاستشراقي، وخللاً معرفياً، يتمثل في اعتماد التفسير النفسي الفردي، وتجاهل السياقات التاريخية والثقافية، وإغفال الروايات الإسلامية المعتمدة، فضلاً عن استدعاء الخلفيات اللاهوتية والأيدولوجية المناهضة للإسلام. كما اعتمد هؤلاء المستشرقون على انتقاء النصوص القرآنية والحديثية، من خلال اقتطاع آيات معينة من سياقها، وتفسيرها بما يخدم فرضياتهم، دون الالتفات إلى المنظومة التشريعية التي تنتظم فيها تلك الآيات، ودون الرجوع إلى تفسيرها في مصادرها الأصلية.

وفي مقابل هذه القراءات التشويهية، برزت قراءات استشراقية تتسم بقدر من الإنصاف، سعت إلى قراءة سيرة النبي في ضوء معطياتها التاريخية والدينية، وفُسّرت زواجه من زينب باعتباره تشريعاً لإلغاء التبني الجاهلي، لا نتاجاً لهوى أو رغبة شخصية.

والحقيقة أن الطعون التي وُجّهت إلى النبي ﷺ في هذا السياق لم تصمد أمام التمحيص النقدي والمنهجي، وأن جميع محاولات النيل من السلامة النفسية والسلوكية للنبي ﷺ تصطدم بتماسك شخصيته، وسمو أخلاقه، واتساق سلوكه مع القيم القرآنية والتشريعية، فضلاً عن انعدام أي دليل علمي أو تاريخي يُثبت وجود خلل نفسي أو أخلاقي في مواقفه، سواء في هذه الحادثة أو غيرها.

وتؤكد النصوص القرآنية، والثابت من السيرة النبوية، أن زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش كان بأمر إلهي، وأن هذا الزواج جاء ضمن منظومة تشريعية متكاملة ومقصودة، هدفها إلغاء عادة التبني التي كانت متأصلة في المجتمع الجاهلي، وتقرير جواز الزواج من مطلقة الابن بالتبني. وهو ما يجعل فهم هذه الواقعة خارج هذا الإطار تشويهاً وتزييفاً متعمداً.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر

القرآن الكريم

أرنولد، توينبي، دراسة في التاريخ، عبد الرحمن بدوي (دار الطليعة، ١٩٧٢)
ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، حسين عبد الله المحمود، ج ٧ (دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠).

إميل، درمنغام، محمد ﷺ ونساء الإسلام، عبد الله البكر (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٠).
شاخت جوزيف، تراث الإسلام، محمد سعيد البوطي (دار القلم، ١٩٩٠).
البخاري، صحيح، كتاب التفسير.
العاملي محمد بن الحسن الحر، وسائل الشيعة، ج ٢ (دار الحديث، ١٩٨٣).

الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ج ٨
الطوسي، تفسير التبيان، ج ٨
القيسي، محمد عبد الله، الطب النفسي
النفسي، علم الأعصاب والطب، فهد الشمري.
برنارد، لويس، العرب في التاريخ، عبد الله أبو سلمان، ط ٢ (دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٩٩٨).
توماس، كارلايل، عن الأبطال والعبادة البطولية، عبد العزيز الدوري (دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٩٩٨).

جورج، سيل، معاني القرآن، محمد عبد الرحمن (دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٥)
جون لويس، إسبوزيتو، الإسلام: الطريق المستقيم، محمد جواد علي، ط ٣ (المركز الثقافي الإسلامي، ٢٠٠٢).

جون، وانسبرو، دراسات قرآنية مصادر وأساليب تفسير النصوص، مصطفى عبد الغني (دار الفكر، دمشق، سوريا، ٢٠٠٠).

حسين، ناصري، علم النفس الإسلامي مدخل تحليلي (ليلي محمود، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٢)

الطيب، محمد عبد الله، التحليل النفسي الإسلامي الأسس والمفاهيم (دار الفكر المعاصر، ٢٠١١).
ديفيد صموئيل، مارغليوث، محمد ونشأة الإسلام، عبد الوهاب عزام (دار النهضة العربية، ١٩٨٢).
ريشارد، بيل، مقدمة لدراسة القرآن أحمد عبد الرحمن (دار صادر بيروت لبنان، ١٩٨٥).
ريجنالد ألين، نيكلسون، تاريخ الأدب العربي، عبد الله يوسف (دار الفكر، ١٩٩٢).

ريجيس، بلاشير، النبوة عند محمد ﷺ، محمد كامل (دار المعارف، ١٩٦٥).

سيغموند، فرويد، تفسير الأحلام، محمود خطاب (دار الطليعة، ١٩٨٦).

شاهبازي، محمد رضا، التحليل النفسي في الإسلام أسس ونظريات، سمير أحمد.

ابن هشام عبد الملك، السيرة النبوية، محمد فوزي (دار الفكر، ١٩٨٩).

غولدتسيهر، إغناس، الدراسات المحمدية، صالح عبد الفتاح محفوظ (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦).

كارل لوتس، بيكر، محمد النبي ﷺ، محمد شفيق غربال (دار المعارف، ١٩٥٥).

كارين، آرمسترونغ، محمد ﷺ سيرة النبي ﷺ

- الحوطني، محمد عبد الكريم (دار الساقى، ٢٠٠٤).
- ابن كثير، تفسير القرآن، بدر الدين العيني، ج ٤.
- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، عادل زعير، ب. ط.
- ماكسيم، رودنسون، محمد ﷺ، طه عبد الرحمن (دار الطليعة، ١٩٨٢).
- مايكل، هارت، المائة الأوائل، عبد القادر طاش ماخ (دار الحضارة، ١٩٩٩).
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، محمد زاهد الكوثري، ط ٢ ج ٦ (دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٩٩٥).
- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط ٢ ج ٤ (دار الفكر، ١٩٩٥).
- ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٨ (دار الكتب العلمية، ١٩٩٣).
- مسلم، صحيحه، فيما لم تنقله كتب الحديث الشيعية الأساسية، أحمد شاكر، ج ٣.
- ناصر، علي، علم النفس الإسلامي النظرية والتطبيق.
- نولدكه، تيودور، تاريخ القرآن، مصطفى عبد القادر عيسى (دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٨).
- هنري، لامنس، فاطمة ونساء محمد ﷺ، ب، ط.
- ، محمد ﷺ سامي الدروبي (دار صادر بيروت لبنان، ١٩٨٤).
- واشنطن، إيرفينغ، محمد وخلفاؤه، يوسف زيدان، ط ٢ (دار الشروق، ٢٠٠٥).
- وليام مونتغمري، وات، محمد نبى ورجل دولة، عبد السلام المسدي، ط ٤ (دار القلم، ٢٠١٠).
- وليام مونتغمري، وات، محمد في المدينة، حسن أبو السعود (١٩٩٧).
- وليام، موير، حياة محمد، محمد سعيد حمادة، ط ٥ (دار المعارف، ٢٠٠٣).